

## معرفة الامام (4)

سماحة العلامة اية الله السيد محمد الحسين الحسينى الطهرانى (افاض الله علينا من بركات نفسه  
القدسية)

المجلد الرابع

دار المحجة البيضاء

## الدرس السادس و الاربعون الى الدرس الحادى و الخمسين

تفسير الآية: ثم اورثنا الكتب الذين اصطفينا من عبادنا...

بسم الله الرحمن الرحيم

و صلى الله على محمد و آله الطاهرين و لعنة الله على اعدائهم اجمعين من الآن الى قيام يوم الدين و لا حول و لا قوة الا بالله العلي العظيم

قال الله الحكيم في كتابه الكريم:

و الذي اوحينا اليك من الكتب هو الحق مصدقا لما بين يديه ان الله بعباده لخبير بصير. ثم اورثنا الكتب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه و منهم مقتصد و منهم سابق بالخيرت باذن الله ذلك هو الفضل الكبير. (1)

تخاطب الآية الاولى الرسول الاكرم صلى الله عليه و آله و سلم مبينة ان الكتاب الذي اوحى اليه هو الحق، و هو القرآن المجيد المصدق لجميع الكتب السماوية النازلة من الله على من سبقه من الانبياء. و تتحدث الآية الثانية حول انتقال القرآن الكريم نفسه الى المصطفين من عباد الله بعد النبي بوصفه ارثا.

و على الرغم من ان بعض المفسرين قد ترددوا في تفسير معنى الكتاب و قالوا: لعل فيه اشارة الى جنس الكتب السماوية او الى خصوص التوراة و الانجيل، بيد ان هذا التردد لا قيمة له من وجهة النظر الواقعية، لان اللام في الكتاب ليست للجنس، كما انته لم يتقدم على هاتين الآيتين ذكر التوراة و الانجيل في الآيات التي سبقتهما لتدل عليهما بصفتها لاما للعهد، بيد انه لما كان الكتاب في الآية الاولى هو القرآن الكريم الموحى الى النبي صلى الله عليه و آله و سلم و ان هذا الكتاب قد ذكر مباشرة بعد تلك الآية بوصفه ارثا لمن اصطفاهم الله من عباده، فلا بد ان تكون اللام في الكتاب هي لام العهد مشيرة الى القرآن المجيد نفسه. و مفادها و مفهومها ان الله تعالى قد اورث القرآن من اجابهم من عباده. و سبب ورود التعبير القرآني بصيغة الماضي الملحوظة في كلمة: اورثنا، هو لتحقيق وقوعه و تثبيته في القضاء الالهي، كما لو اوصى احد باعطاء ماله او كتابه لابنه، فقال: يا بني اوصيتبا عطاءك المال الفلاني او الكتاب الفلاني. و يقول اهل الفن ان الاعمال التي سيتحقق وقوعها في المستقبل على نحو الحتم و اليقين هي في حكم الاعمال المتحققة. و المراد من ارث القرآن، انتقال القرآن الى الوارث من جميع الجهات، لان حقيقة معنى الارث في كل شيء هو انتقال ذلك الشيء الى آخر بحيث يقوم هذا به، و ياخذ على عاتقه الاضطلاع بشؤونه. و على سبيل المثال، فعندما يموت شخص و يترك مالا موروثا، فان الوارث يتصرف فيه و كانه وارثه الحقيقي، و ما عليه الا القيام بما فيه مصلحة المال من حيث حفظه و الاهتمام به و وضعه في محله. و تتعلق به ملكيته ايضا كما كانت لصاحبه من قبل.

و للارث في الحكومة و السلطنة هذا المعنى ذاته، يقولون: فلان وارث ابيه في السلطنة، او زيد

اورث نجله حكومته، او فلان وارث ابيه في العلم، او فلان هو وارث ابيه الوحيد في العلوم و الفنون من بين ابنائه الآخرين، اي انه اخذ عن ابيه تلك العلوم و الفنون، و هو لها اهل.

## القصد من وراثة القرآن

و على هذا النسق يجري ارث القرآن المجيد في هذه الآية المباركة.اي: ان نفس تلك الحقائق التي عرفها الله نبيه من القرآن المجيد، الظاهرة منها كلاحكام العامة و الخاصة و المجمل و المبين، و المطلق و المقيد و الناسخ و المنسوخ، و قصص الانبياء و الامم الماضية، و الاخلاق و المعارف الدينية، و التوحيد بجميع مراتبه و الوعد و الوعيد و المصالح و المفسد و مراتب النفس و ظهورها في العوالم الاخرى، و الباطنة منها كالتاويل، و التفسير، و الكلية، و التطبيق، و الجري و الحقائق المنطوية في الآيات مثل: حقيقة عالم الطبع، و عالم البرزخ و الصور المثالية، و عالم العقل و الملائكة و الروح و مقاماتهم، و درجات اهل الثواب و دركات اهل المعصية، و حقيقة التوحيد الخالص و ادراكه، و كيفية احاطة الاسماء و الصفات الالهية بجميع العوالم، و اندكك الاسماء و الصفات في الذات، و حقيقة التجلي لجميع العوالم، و الآيات الالهية الآفاقية و الانفسية و غيرها، فهذه الحقائق كلها قد اودعها الله ورثة القرآن، بحيث انهم يمثلون خلفاء رسول الله و النازلين منزلته في تلك المعاني كلها، و انهم الامتداد الطبيعي للرسول الاكرم في القيام بها و حفظها، و العمل على ما فيه مصالح الامة وفقا لمدلولها.

في ضوء ذلك فان وارث القرآن يمثل نسخة الاصل من وجود رسول الله و سيتجلي القرآن في وجود الوارثين واحدا تلو الآخر كنجو تجلي القرآن المحكم و القرآن المفصل كتب احكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير، (2) لانه ينبغي ان تكون هناك نسبة واقعية بينالمورث و الوارث، فلا يورث كل شيء لكل احد، فابن الوزير او ابن العضو النيابي لا يرث الحكومة و الملك، و لا يرث ابن عامل القمامة فن الطب من الطبيب، و لا يرث الجاهل غير الجدير علم العالم.و يمكننا ان نطل من هذه النافذة لنشهد وارثي القرآن المجيد، فانهم اشبه الناس بالنبي الاكرم و اقربهم منه، بل انهم، في الصفات و صفاء الباطن و الاستعدادات لتلقي الحقائق و بواطن القرآن، ذوو صدور رحبة و قلوب قوية كالرسول الاعظم صلى الله عليه و آله و سلم.

و في ضوء ذلك، يقول الله جل شاناه:

ثم اورثنا الكتب الذين اصطفينا من عبادنا...

اذ ان معنى الاصطفاء هو اختيار خالص الشيء و خياره.

و قوله: من عبادنا

بيانية كما يبدو، لان الاضافة في كلمة «عبادنا» للتشريف، و يريد ان يقول بان هؤلاء المصطفين و

وارثي القرآن يتصفون بعبوديتهم لنا، كما في قوله عز و جل:

و سلم على عباده الذين اصطفى. (3)

و اما قوله:

فمنهم ظالم لنفسه و منهم مقتصد و منهم سابق بالخيرات باذن الله،

فلعله من اجل تقسيم العباد الى ثلاث مجموعات، فيما اذا رجع الضمير في كلمة «منهم» الى العباد، و في هذه الحالة، فان الجملة ستكون تعليلا للجملة التي سبقتها، اي: اننا اورثنا القرآن الذين اصطفينا من عبادنا لان عبادنا جميعهم غير متساوين بل هم ثلاث مجموعات، و من الطبيعي فان افضل هذه المجموعات و هي المجموعة السابقة بالخيرات ترث القرآن و ستكون الجنات الموعودة في الآيات الثلاث التالية لها من نصيبهم:

جنت عدن يدخلونها يحلون فيها من اساور من ذهب و لؤلؤا و لباسهم فيها حرير و قالوا الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور الذي احلنا دار المقامة من فضله لا يمسنا فيها نصب و لا يمسنا فيها لغوب. (4)

و لعله من اجل تقسيم المصطفين، اي اننا اورثنا القرآن الذين اصطفيناهم من عبادنا، و هم ثلاثة اقسام: الاول: الذين ظلموا انفسهم.الثاني: الذين سلكوا سبيل العدل و الانصاف و الاعتدال.الثالث: الذين احرزوا قصب السبق في مجال الخيرات و الحسنات، و تفوقوا على الجميع باذن الله، و القرآن بوصفه ارثا وصل الى هؤلاء جميعهم لانهم من المصطفين مع اختلاف في الدرجات و المراتب. هذا مع ان الوارث الحقيقي للقرآن و القائم بامرته هو القسم الثالث من بين هؤلاء طبعاً، و هم السابقون.

و هذا اللون من الاستعمال شائع ايضا في العرف و لغة المحاورة فنجد ان شيئاً خاصاً بشخص ينسب الى جماعة لها معه ارتباط، كما يقال: حصل الفريق الفلاني على الجائزة الفلانية بينما نجد الجائزة من نصيب احد اعضاء الفريق، او يقال: نزل القرآن على اهل مكة، ثم نزل على اهل المدينة بينما هو نزل على رسول الله خاصة. و في القرآن المجيد استعمالات كثيرة من هذا القبيل. جاء في الآيتين 53 و 54 من سورة المؤمن قوله:

و لقد اتينا موسى الهدى و اورثنا بنى اسرائيل الكتب هدى و ذكرى لاولى الالباب.

في حين ان التوراة لم يؤتها بنو اسرائيل جميعهم، و بعد موسى عليه السلام كانت من نصيب بعضهم. او ان المراد من الكتاب هنا ليس التوراة بعينها، بل هو ذلك الكتاب السماوي الموحى الذي نزل على موسى نفسه تحت عنوان التوراة، و لم ينزل على بني اسرائيل كلهم. بيد ان قراءة في الروايات الماثورة سواء الواردة عن طريق الشيعة او عن طريق السنة، تثبتنا ان الاحتمال الثاني اقوى. فالله تعالى في هذه الآية يقسم عباده المصطفين الى ثلاثة اقسام، و هم مع اختلافهم فيما بينهم، حتى ان فيهم من يظلم نفسه، لكنهم يتميزون عن غيرهم بصفاء و كلهم ورثة الكتاب على نحو الاجمال، مع ان حقيقة الارث ترتبط بالفريق الثالث السابق بالخيرات.

و الشاهد على ذلك هو ان تلك الجنان الموعودة هي للذين ظلموا انفسهم، و للمقتصدين المعتدلين، و قد اصبحت من نصيبهم بسبب مغفرة الله لهم، و جزاء لاعمالهم.

لان الآيات نطقتبانهم يحمدون الله ربهم و يثنون عليه بصفتي الغفور و الشكور، و هذا المعنى يتناسب مع الذنب و المغفرة، و العمل الصالح و الثواب، و هو ما يتعلق بالفريق الاول و الثاني: و

انهم يحمدون الله الذى اذهب عنهم الحزن و احلهم دار المقامة و جنة الخلد من فضله لا يمسه فيها نصب و لا لغوب. و هذه العبارات الناطقة بالحمد تصدر عن ذينك الفريقين، و لا تصدر عن الفريق الثالث الذي يدخل افراده الجنة بغير حساب متعمين بالامن و الامان في مقعد صدق عند مليك مقتدر.

و يخاطبون بقوله جل من قائل:

يايتها النفس المطمئنة ارجعى الى ربك راضية مرضية

## ورثة الكتاب كلهم من ابناء فاطمة الزهراء

تفيد الروايات الماثورة ان المذكورين في الاقسام الثلاثة جميعهم من ولد فاطمة عليها السلام و كلهم يدخلون الجنة، لكن افراد القسم الاول يدخلونها بعد حساب عسير بسبب ظلمهم انفسهم، و افراد القسم الثاني يدخلونها بعد حساب يسير، اما افراد القسم الثالث، و هم ورثة القرآن، فانهم يدخلونها بغير حساب. نقل محمد بن يعقوب الكليني في كتاب «الكافي» بسنده عن احمد بن عمر انه قال: سألت ابا الحسن الرضا عليه السلام عن قول الله عز و جل: «ثم اورثنا الكتب الذين اصطفينا من عبادنا» - الآية، فقال: ولد فاطمة عليها السلام و السابق بالخيرات الامام، و المقتصد العارف بالامام، و الظالم لنفسه الذي لا يعرف الامام. (5)

و نقل الكليني مثل هذه الرواية بالفاظها نفسها (ماعدا: ولد فاطمة عليها السلام) عن سالم، عن الامام الباقر عليه السلام. (6)

و رواها ابن بابويه ايضا بسنده عن جابر بن يزيد الجعفي، عن الامام الباقر عليه السلام ماعدا قوله: ولد فاطمة عليها السلام لكن جاء في ذيلها قوله: جنت عدن يدخلونها اي: المقتصد و السابق. (7)

و روى الطبرسي عن عبد العزيز، عن الامام الصادق عليه السلام انه قال: الظالم من لا يعرف حق الامام، و المقتصد منا العارف بحق الامام، و السابق بالخيرات الامام، و هؤلاء كلهم مغفور لهم. (8)

و نلاحظ ان الامام الصادق عليه السلام قد فسر الآية كما فسرهما الامام الباقر عليه السلام و قال في ذيلها: كلهم مغفور لهم.

و روى ابن بابويه بسنده عن الامام الصادق عليه السلام انه سئل عن قول الله عز و جل: «ثم اورثنا الكتب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه و منهم مقتصد و منهم سابق بالخيرت باذن الله». فقال: الظالم يحوم حوم نفسه، و المقتصد يحوم حوم قلبه (9) اي انه يراقب قلبه لئلا تبدر منه معصية او تفوته طاعة، و لئلا يعتريه صدا، فيحفظ قلبه دوما طاهرا بنور الطاعة، و السابق يحوم حوم ربه عز و جل (اي انه تخطى قلبه، فهو لا يجد وجودا و قلبا في داخله ليكون في صدد تنزيهه و تطهيره، فهو ناظر دوما الى جمال الحق و تجلياته، مضمحلا في شعاع صفاته و اسمائه، و فانيا في ذاته المقدسة) .

لكن العلامة الطباطبائي نقل ذلك عن «معاني الاخبار» للصدوق، عن الامام الصادق عليه السلام على النحو التالي: الظالم يحوم حوم نفسه، و المقتصد يحوم حوم قلبه، و السابق بالخيرات يحوم حوم ربه. (10)

و القصد واحد في كلتا الحالتين.

و روى محمد بن العباس بن ماهيار، و هو من الموثقين، في تفسيره عن ابي اسحاق السبيعي انه قال: خرجتاجا فلقيت محمد بن علي عليهما السلام فسالته عن هذه الآية: «ثم اورثنا الكتب الذين اصطفينا من عبادنا» فقال: ما يقول فيها قومك يا ابا اسحاق - يعني اهل الكوفة - ؟ قال: قلت: يقولون انها لهم، قال: فما يخوفهم اذا كانوا من اهل الجنة؟ قلت: فما تقول انت جعلت فداك؟ قال: هي لنا خاصة يا ابا اسحاق اما السابقون بالخيرات فعلي و الحسن و الحسين عليهم السلام و الامام منا، و المقتصد فصائم بالنهار و قائم بالليل، و الظالم لنفسه ففيه ما في الناس و هو مغفور له. يا ابا اسحاق بنا يفك الله رقابكم و يحل رباق الذل من اعناقكم و بنا يغفر الله ذنوبكم، و بنا يفتح و بنا يختم، و نحن كهفكم كهف اصحاب الكهف، و نحن سفينتكم كسفينة نوح، و نحن باب حطكم كباب حطة بني اسرائيل. (11)

و روى ابن بابويه، الشيخ الصدوق بسنده عن ابي حمزة الثمالي رضوان الله عليه انه قال: كنت جالسا في المسجد الحرام مع ابي جعفر عليه السلام اذ اتاه رجلان من اهل البصرة فقالا له: يا ابن رسول الله انانريد ان نسالك عن مسألة؟ فقال لهما: سلا عما شئتما قالا: اخبرنا عن قول الله عز و جل: «ثم اورثنا الكتب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه و منهم مقتصد و منهم سابق بالخيرات باذن الله ذلك هو الفضل الكبير» - الى آخر الآيتين - قال: نزلت فينا اهل البيت. قال ابو حمزة الثمالي: فقلت: بابي انت و امي، فمن الظالم لنفسه منكم؟ قال: من استوت حسناته و سيئاته من اهل البيت، فهو الظالم لنفسه، فقلت: من المقتصد منكم؟ قال: العابد لله في الحالين (12) حتى ياتيهِ اليقين. قلت: فمن السابق بالخيرات؟ قال: من دعا و الله الى سبيل ربه و امر بالمعروف و نهى عن المنكر و لم يكن للمضلين عضدا و لا للخائنين خصيما، و لم يرض بحكم الفاسقين الا من خاف على نفسه و دينه و لم يجد اعوانا. (13)

و حدث صاحب كتاب «ثاقب المناقب» عن ابي هاشم الجعفري، قال: كنت عند ابي محمد الحسن العسكري عليه السلام فسالته عن قول الله تعالى:

ثم اورثنا الكتب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه و منهم مقتصد و منهم سابق بالخيرات باذن الله.

قال عليه السلام: كلهم من آل محمد، الظالم لنفسه الذي لا يقر بالامام، و المقتصد العارف بالامام، و السابق بالخيرات باذن الله الامام. قال: فدمعت عيناوي و جعلت افكر في نفسي ما اعطى الله آل محمد، فنظر الي و قال: الامر اعظم مما حدثتكَ به نفسك من عظم شان آل محمد، فاحمد الله فقد جعلك مستمسكا بحبلهم تدعى يوم القيامة لهم اذا دعي كل اناس بامامهم، فابشر يا ابا هاشم و انك على خير. (14)

و روى محمد بن يعقوب الكليني بسنده عن احمد بن حماد، عن ابراهيم، عن ابيه، عن الامام ابي الحسن الاول (موسى بن جعفر) عليهما السلام. قال: قلت له: جعلت فداك اخبرني عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ورث النبيين كلهم؟ قال: نعم، قلت: من لدن آدم حتى انتهى الى نفسه؟ قال: ما بعث الله نبيا الا و محمد صلى الله عليه وآله وسلم اعلم منه، قال: قلت: ان عيسى ابن مريم كان يحيي الموتى باذن الله، قال: صدقت و سليمان بن داود كان يفهم منطق الطير، و كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقدر على هذه المنازل. قال: فقال ان سليمان بن داود. قال للهدد حين فقده و شك في امره فقال: ما لى لا ارى الهدد ام كان من الغائبين. (15)

حين فقده فغضب عليه فقال: لا عذبه عذابا شديدا او لاذبحه او لياتيني بسلطان مبين. و انما غضب لانه كان يدله على الماء فهذا و هو طائر قد اعطي ما لم يعط سليمان، و قد كانت الريح و النمل و الانس و الجن و الشياطين [و] المردة له طائعين و لم يكن يعرف الماء تحت الهواء. و كان الطير يعرفه، (16) و ان الله - يقول في كتابه: و لو ان قرءانا سيرت به الجبال او قطعته الارض او كلم به الموتى و قد ورثنا نحن هذا القرآن الذي فيه ما تسير به الجبال و تقطع به البلدان و تحيي به الموتى. و نحن نعرف الماء تحت الهواء (فلا نحتاج الى الهدد و علمه). و ان في كتاب الله آيات ما يراد بها امر الا ان ياذن الله به مع ما قد ياذن الله مما كتبه الماضون، جعله الله لنا في ام الكتاب.

ان الله يقول: «و ما من غيبة فى السماء و الارض الا فى كتب مبين». ثم قال: «ثم اورثنا الكتب الذين اصطفينا من عبادنا» فنحن الذين اصطفانا الله عز و جل و اورثنا هذا الذي فيه تبيان كل شىء. (17)

و نقل في «الكافي» باسناده عن الامام محمد الباقر عليه السلام انه قال: يمصون الثماد (18) و يدعون النهر العظيم. قيل: و ما النهر العظيم؟ قال: رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم و العلم الذي اعطاه الله. ان الله عز و جل جمع لمحمد سنن النبيين من آدم و هلم جرا الى محمد. قيل له: و ما تلك السنن؟ قال: علم النبيين باسره، و ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صير ذلك كله عند امير المؤمنين. (19)

و نقلت هذه الرواية نفسها في «بصائر الدرجات» عن علي بن نعمان. (20) و جاء في «الكافي» ايضا بسنده عن الامام محمد الباقر عليه السلام انه قال: كان جميع الانبياء مائة الف نبي و عشرين الف نبي منهم خمسة اولو العزم: (21) نوح و ابراهيم و موسى و عيسى و محمد صلى الله عليه وآله وسلم و عليهم، و ان علي بن ابي طالب كان هبة الله لمحمد و ورث علما لاوصياء و علم من كان قبله. اما ان محمدا ورث علم من كان قبله من الانبياء و المرسلين. (22)

و جاء في «الكافي» و «بصائر الدرجات» باسنادهما عن ضريس الكناني انه قال: كنت عند ابي عبد الله (الصادق) عليه السلام و عنده ابو بصير. فقال ابو عبد الله عليه السلام: ان داود ورث علم الانبياء، و ان سليمان ورث داود، و انا ورثنا محمدا صلى الله عليه وآله وسلم و ان عندنا صحف ابراهيم و الواح موسى عليهما السلام. فقال ابو بصير: ان هذا لهو (23) العلم! فقال: يا ابا بصير ليس

هذا هو العلم. انما العلم ما يحدث بالليل والنهار، يوما بيوم و ساعة بساعة. (24)  
لكن تلك الصحف و الالواح حقيقة اخرى استقرت في وجودنا بنحو كلي و هي لا تقبل الحدوث و  
التغيير، و قد انسابت هذه العلوم اليومية من ذلك المنبع) .

و جاء مثل هذه الرواية في «بصائر الدرجات» عن ايوب بن نوح و محمد بن عيسى، عن صفوان.  
(25)

و في «الكافي» عن ابن مسكان، عن ابي بصير، عن الصادق عليه السلام قال: قال لي: يا ابا  
محمد ان الله عز و جل لم يعط الانبياء شيئا الا و قد اعطاه محمدا جميع ما اعطى الانبياء، و عندنا  
الصحف التي قال الله عز و جل: «صحف ابراهيم و موسى». قلت: جعلت فداك هي الالواح؟ قال:  
نعم. (26)

و في «الكافي» عن هارون بن الجهم انه روى عن رجل من اصحابالصادق عليه السلام لم يحفظ  
اسمه قال: سمعت الصادق عليه السلام يقول: ان عيسى ابن مريم اعطي حرفين كان يعمل بهما، (27)  
و اعطي موسى اربعة احرف، و اعطي ابراهيم ثمانية احرف، و اعطي نوح خمسة عشر حرفا، و  
اعطي آدم خمسة و عشرين حرفا، و ان الله تبارك و تعالى جمع ذلك كله لمحمد صلى الله عليه و آله  
و سلم و ان اسم الله الاعظم ثلاثة و سبعون حرفا، اعطى محمدا اثنين و سبعين حرفا و حجب عنه  
حرف واحد. (28)

و روى في «بصائر الدرجات» بسنده عن ابي حمزة الثمالي، عن الامام السجاد علي بن الحسين  
عليهما السلام انه قال: قلت له: الائمة يحيون الموتى و يبرؤن الاكمه و الابرص و يمشون على الماء؟  
قال: ما اعطى الله نبيا شيئا قط الا و قد اعطاه محمدا صلى الله عليه و آله و سلم و اعطاه ما لم يكن  
عندهم - الخبر. (29)

و فيه بسنده عن جابر، عن الامام الباقر عليه السلام انه قال: اعطى الله محمدا صلى الله عليه و  
آله و سلم مثل ما اعطى آدم فمن دونه من الاوصياء كلهم، يا جابر! هل تعرفون (يعرفون - خ ل)  
ذلك؟ (30)

و جاء في كتاب «الاختصاص» للشيخ المفيد عن عبد الله بن بكير الهجري، عن ابي جعفر عليه  
السلام [انه] قال: ان علي بن ابي طالب كانهبة الله لمحمد صلى الله عليه و آله و سلم، ورث علم  
الاوصياء و علم ما كان قبله، اما ان محمدا ورث علم من كان قبله من الانبياء و المرسلين. (31)

ان ما يستفاد من هذه المجموعة الروائية هو ان جميع الكمالات الروحية و العلمية التي كان يتصف  
بها الانبياء الماضون قد ورثها نبينا محمد صلى الله عليه و آله و سلم عنهم، و ورثها علي امير  
المؤمنين عليه السلام عنه، ثم بعد ذلك ورثها ائمة اهل البيت عليهم السلام عن امير المؤمنين. و لا  
ينحصر هذا الارث في الوحي و العلوم الالهية الخاصة بشرائعهم فحسب، بل و في كافة الحالات و  
الصفات الروحية و كيفية الاتصال بالمبدأ الاعلى من حيث الاسم الخاص الذي كانوا يستاثرون به، بل  
و ان جميع المعجزات و الكرامات التي كانت تصدر عنهم باذن الله، كانت كلها موجودة و منظوية في



نفس النبي المباركة. و لما كانت معجزات الانبياء صادرة عنهم بسبب قدراتهم الروحية و صفاء قلوبهم حيث تجلى امر الله فيهم و ظهرت المعجزات مشعة من نافذة نفوسهم الطاهرة باذن الله، و لما كانت نفوسهم متفاوتة، فان هذه التجليات متفاوتة ايضا، و صدرت عن كل نبي معجزة خاصة.

و لم تكن علومهم الالهية ايضا على نمط و سبيل واحد، فكل واحد منهم قد تشرف بالدخول الى الحرم الالهي - من حيث درك مقام التوحيد و العظمة الالهية - بجانب خاص و اسم مخصوص و اصبح من المخلصين. و ان القابا نحو: روح الله، او كلیم الله، او خليل الله، او نجي الله، او صفي الله، و امثالها ليست القابا شكلية و اعتبارية، بل هي تتبئ عن نوع خاص من الملكات، و كيفية خاصة من النفوس، اذ ان النفحات الالهية فيكل واحد منهم ليست على منوال واحد، بل ان كلا منهم سار من طريق خاص و نمط مخصوص متصفا بصفاء الباطن في اسم من الاسماء الالهية، فظهرت حقيقة ذلك الاسم فيهم. و كانوا يقومون بالمعجزات و الاعمال الخارقة للعادة بواسطة ذلك الاسم. و كانت العلوم الريانية تتساب على قلوبهم من نافذة ذلك الاسم، من عالم العلم الالهي الكلي بواسطة جبريل الامين.

اما الوجود المقدس لخاتم الانبياء و المرسلين الجامع لظهورات الاسماء الالهية كلها، فله نفس واسعة و قلب فسيح، و عنده الاسم الاعظم و مقام الفناء في اسم الاحد و الذات الالهية المقدسة. و لقب خاتم النبيين ليس لقبا شكليا و اعتباريا، بل هو يعبر عن تلك الروح الكبيرة و الاستعداد على السير في جميع الاسماء و الصفات، و تجلي الاسم الاعظم، و تلقي آخر مرتبة من مراتب التوحيد و الفناء في الذات الاحدية و اندكاك جميع العوالم و انطوائها في نفسه المباركة، بل اندكاك و انطواء جميع علوم الانبياء السابقين و مواهبهم مع كمالاته الروحية و العلمية و التي تدل كلها على معنى خاتم النبيين. فالانبياء اجمع مقدمة الجيش له، و كل منهم وجد طريقه الى الله من زاوية خاصة و طريق خاص، و اصبح له كمال خاص به. بيد ان النفس الواسعة لنبينا العظيم تشرفت بذلك المقام المنيع و تجلت فيها كافة الاسماء الالهية من جميع الزوايا و الطرق. فهو - اذن - وارث الانبياء جميعهم، و جميعهم تحت نفوذه و طوع ارادته متمسكين بشرف الخدمة و الاستشفاع.

«ما عند الابرار جميعهم عندك افضل منه اضعافا مضاعفة» .

فعند سيد الكائنات علوم الانبياء و الاوصياء جميعهم، و عندهم معجزاتهم كلها، و اكثر من ذلك، سيدفع اليه فقط لواء الحمد يوم القيامة فهو امام الحامدين لله كما يليق بمقام حمده. و قد انتقلت جميع تلك المراتب و الدرجات و الكمالات و الفضائل و الميزات و العلوم و المعجزات و الاسماء الالهية الكلية، و الاسم الاعظم الى خليفته و وصيه و مرآة ظهوره التام، اعني الوجود المبارك لامير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام و سيتحول لواء الحمد يوم القيامة من يد النبي الى يد امير المؤمنين.

ان مقام الوراثة هذا هو في كتاب التكوين و كتاب التشريع، اذ ان علم ما كان و ما يكون الى يوم القيامة و ما هو كائن مشهود في ذهنه، و قدرة الله و عظمة الاسماء الالهية متجلية في نفس الوصي الصافية و ضميره المتللي. ثم اورثنا الكتب الذين اصطفينا من عبادنا.

و على هذا الاساس اعتبر القرآن عليا عليه السلام نفس النبي صلى الله عليه و آله و سلم في آية

و قد وردت احاديث كثيرة عن طريق الشيعة و السنة بهذا الشأن، و شرط الاتحاد بين النفسين الاتحاد في الكمالات و المعارف. و مضافا الى ذلك فقد جاءت احاديث جمة عن طريق الفريقين ماثورة عن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم شبهت امير المؤمنين بآدم، و نوح، و ابراهيم، و موسى، و عيسى، و يحيى و يوسف. و لا يتم التشبيه الا بتحقيق صفة المشبه به في المشبه، بل ان كثيرا منها لم ينص على التشبيه بل نص على المثلية و المساواة. و نذكر فيما يلي بعض الاحاديث المروية عن طريق العامة فقط: روى محمد بن طلحة الشافعي (33) بسنده عن البيهقي، و كذلك روى ابن الصباغ المالكي، (34) في كتاب صنفه في فضائل الصحابة، بسنده عن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم انه قال: من اراد ان ينظر الى آدم في علمه، و الى نوح في تقواه، و الى ابراهيم في حلمه، و الى موسى في هيبته، و الى عيسى في عبادته، فلينظر الى علي بن ابي طالب.

و قال الفخر الرازي عند تفسيره آية المباهلة: ان هذه الآية دلت على ان نفس علي هي نفس محمد. و لما دل الاجماع على ان محمدا صلى الله عليه [و آله] و سلم كان افضل من سائر الانبياء عليهم السلام فيلزم ان يكون علي افضل من سائر الانبياء باستثناء رسول الله. ثم قال: و يؤيد الاستدلال بهذه الآية الحديث المقبول عند الموافق و المخالف، و هو قوله صلى الله عليه [و آله] و سلم. من اراد ان يرى آدم في علمه، و نوحا في طاعته، و ابراهيم في خلته، و موسى في هيبته، و عيسى في صفوته، فلينظر الى علي بن ابي طالب.

ثم قال: فالحديث دل على انه اجتمع فيه ما كان متفرقا فيهم. و ذلك يدل على ان عليا افضل من جميع الانبياء. و اما الشيعة فقد كانوا قديما و حديثا يستدلون بهذه الآية على ان عليا رضي الله عنه افضل من سائر الصحابة، لان الآية لما دلت على ان نفس علي رضي الله عنه مثل نفس محمد صلى الله عليه و آله و سلم الا فيما خصه الدليل، و كانت نفس محمد صلى الله عليه [و آله] و سلم افضل من الصحابة، فوجب ان تكون نفس علي افضل من سائر الصحابة. (35)

## الدرس السادس و الاربعون الى الدرس الحادى و الخمسين

تفسير الآية: ثم اورثنا الكتب الذين اصطفينا من عبادنا...

بسم الله الرحمن الرحيم

و صلى الله على محمد و آله الطاهرين و لعنة الله على اعدائهم اجمعين من الآن الى قيام يوم الدين و لا حول و لا قوة الا بالله العلي العظيم

قال الله الحكيم في كتابه الكريم:

و الذي اوحينا اليك من الكتب هو الحق مصدقا لما بين يديه ان الله بعباده لخبير بصير. ثم اورثنا الكتب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه و منهم مقتصد و منهم سابق بالخيرت باذن الله ذلك هو الفضل الكبير. (1)

تخاطب الآية الاولى الرسول الاكرم صلى الله عليه و آله و سلم مبينة ان الكتاب الذي اوحى اليه هو الحق، و هو القرآن المجيد المصدق لجميع الكتب السماوية النازلة من الله على من سبقه من الانبياء. و تتحدث الآية الثانية حول انتقال القرآن الكريم نفسه الى المصطفين من عباد الله بعد النبي بوصفه ارثا.

و على الرغم من ان بعض المفسرين قد ترددوا في تفسير معنى الكتاب و قالوا: لعل فيه اشارة الى جنس الكتب السماوية او الى خصوص التوراة و الانجيل، بيد ان هذا التردد لا قيمة له من وجهة النظر الواقعية، لان اللام في الكتاب ليست للجنس، كما انته لم يتقدم على هاتين الآيتين ذكر التوراة و الانجيل في الآيات التي سبقتهما لتدل عليهما بصفتها لاما للعهد، بيد انه لما كان الكتاب في الآية الاولى هو القرآن الكريم الموحى الى النبي صلى الله عليه و آله و سلم و ان هذا الكتاب قد ذكر مباشرة بعد تلك الآية بوصفه ارثا لمن اصطفاهم الله من عباده، فلا بد ان تكون اللام في الكتاب هي لام العهد مشيرة الى القرآن المجيد نفسه. و مفادها و مفهومها ان الله تعالى قد اورث القرآن من اجتباهم من عباده. و سبب ورود التعبير القرآني بصيغة الماضي الملحوظة في كلمة: اورثنا، هو لتحقيق وقوعه و تثبيته في القضاء الالهي، كما لو اوصى احد باعطاء ماله او كتابه لابنه، فقال: يا بني اوصيتبا عطاءك المال الفلاني او الكتاب الفلاني. و يقول اهل الفن ان الاعمال التي سيتحقق وقوعها في المستقبل على نحو الحتم و اليقين هي في حكم الاعمال المتحققة. و المراد من ارث القرآن، انتقال القرآن الى الوارث من جميع الجهات، لان حقيقة معنى الارث في كل شيء هو انتقال ذلك الشيء الى آخر بحيث يقوم هذا به، و ياخذ على عاتقه الاضطلاع بشؤونه. و على سبيل المثال، فعندما يموت شخص و يترك مالا موروثا، فان الوارث يتصرف فيه و كانه وارثه الحقيقي، و ما عليه الا القيام بما فيه مصلحة المال من حيث حفظه و الاهتمام به و وضعه في محله. و تتعلق به ملكيته ايضا كما كانت لصاحبه من قبل.

و للارث في الحكومة و السلطنة هذا المعنى ذاته، يقولون: فلان وارث ابيه في السلطنة، او زيد

اورث نجله حكومته، او فلان وارث ابيه في العلم، او فلان هو وارث ابيه الوحيد في العلوم و الفنون من بين ابناؤه الآخرين، اي انه اخذ عن ابيه تلك العلوم و الفنون، و هو لها اهل.

## القصد من وراثة القرآن

و على هذا النسق يجري ارث القرآن المجيد في هذه الآية المباركة.اي: ان نفس تلك الحقائق التي عرفها الله نبيه من القرآن المجيد، الظاهرة منها كلاحكام العامة و الخاصة و المجمل و المبين، و المطلق و المقيد و الناسخ و المنسوخ، و قصص الانبياء و الامم الماضية، و الاخلاق و المعارف الدينية، و التوحيد بجميع مراتبه و الوعد و الوعيد و المصالح و المفسد و مراتب النفس و ظهورها في العوالم الاخرى، و الباطنة منها كالتاويل، و التفسير، و الكلية، و التطبيق، و الجري و الحقائق المنطوية في الآيات مثل: حقيقة عالم الطبع، و عالم البرزخ و الصور المثالية، و عالم العقل و الملائكة و الروح و مقاماتهم، و درجات اهل الثواب و دركات اهل المعصية، و حقيقة التوحيد الخالص و ادراكه، و كيفية احاطة الاسماء و الصفات الالهية بجميع العوالم، و اندكك الاسماء و الصفات في الذات، و حقيقة التجلي لجميع العوالم، و الآيات الالهية الآفاقية و الانفسية و غيرها، فهذه الحقائق كلها قد اودعها الله ورثة القرآن، بحيث انهم يمثلون خلفاء رسول الله و النازلين منزلته في تلك المعاني كلها، و انهم الامتداد الطبيعي للرسول الاكرم في القيام بها و حفظها، و العمل على ما فيه مصالح الامة وفقا لمدلولها.

في ضوء ذلك فان وارث القرآن يمثل نسخة الاصل من وجود رسول الله و سيتجلي القرآن في وجود الوارثين واحدا تلو الآخر كنجو تجلي القرآن المحكم و القرآن المفصل كتب احكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير، (2) لانه ينبغي ان تكون هناك نسبة واقعية بينالمورث و الوارث، فلا يورث كل شيء لكل احد، فابن الوزير او ابن العضو النيابي لا يرث الحكومة و الملك، و لا يرث ابن عامل القمامة فن الطب من الطبيب، و لا يرث الجاهل غير الجدير علم العالم.و يمكننا ان نطل من هذه النافذة لنشهد وارثي القرآن المجيد، فانهم اشبه الناس بالنبي الاكرم و اقربهم منه، بل انهم، في الصفات و صفاء الباطن و الاستعدادات لتلقي الحقائق و بواطن القرآن، ذوو صدور رحبة و قلوب قوية كالرسول الاعظم صلى الله عليه و آله و سلم.

و في ضوء ذلك، يقول الله جل شاناه:

ثم اورثنا الكتب الذين اصطفينا من عبادنا...

اذ ان معنى الاصطفاء هو اختيار خالص الشيء و خياره.

و قوله: من عبادنا

بيانية كما يبدو، لان الاضافة في كلمة «عبادنا» للتشريف، و يريد ان يقول بان هؤلاء المصطفين و

وارثي القرآن يتصفون بعبوديتهم لنا، كما في قوله عز و جل:

و سلم على عباده الذين اصطفى. (3)

و اما قوله:

فمنهم ظالم لنفسه و منهم مقتصد و منهم سابق بالخيرات باذن الله،

فلعله من اجل تقسيم العباد الى ثلاث مجموعات، فيما اذا رجع الضمير في كلمة «منهم» الى العباد، و في هذه الحالة، فان الجملة ستكون تعليلا للجملة التي سبقتها، اي: اننا اورثنا القرآن الذين اصطفينا من عبادنا لان عبادنا جميعهم غير متساوين بل هم ثلاث مجموعات، و من الطبيعي فان افضل هذه المجموعات و هي المجموعة السابقة بالخيرات ترث القرآن و ستكون الجنات الموعودة في الآيات الثلاث التالية لها من نصيبهم:

جنت عدن يدخلونها يحلون فيها من اساور من ذهب و لؤلؤا و لباسهم فيها حرير و قالوا الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور الذي احلنا دار المقامة من فضله لا يمسنا فيها نصب و لا يمسنا فيها لغوب. (4)

و لعله من اجل تقسيم المصطفين، اي اننا اورثنا القرآن الذين اصطفيناهم من عبادنا، و هم ثلاثة اقسام: الاول: الذين ظلموا انفسهم.الثاني: الذين سلكوا سبيل العدل و الانصاف و الاعتدال.الثالث: الذين احرزوا قصب السبق في مجال الخيرات و الحسنات، و تفوقوا على الجميع باذن الله، و القرآن بوصفه ارثا وصل الى هؤلاء جميعهم لانهم من المصطفين مع اختلاف في الدرجات و المراتب. هذا مع ان الوارث الحقيقي للقرآن و القائم بامرته هو القسم الثالث من بين هؤلاء طبعا، و هم السابقون.

و هذا اللون من الاستعمال شائع ايضا في العرف و لغة المحاورة فنجد ان شيئا خاصا بشخص ينسب الى جماعة لها معه ارتباط، كما يقال: حصل الفريق الفلاني على الجائزة الفلانية بينما نجد الجائزة من نصيب احد اعضاء الفريق، او يقال: نزل القرآن على اهل مكة، ثم نزل على اهل المدينة بينما هو نزل على رسول الله خاصة. و في القرآن المجيد استعمالات كثيرة من هذا القبيل. جاء في الآيتين 53 و 54 من سورة المؤمن قوله:

و لقد اتينا موسى الهدى و اورثنا بنى اسرائيل الكتب هدى و ذكرى لاولى الالباب.

في حين ان التوراة لم يؤتها بنو اسرائيل جميعهم، و بعد موسى عليه السلام كانت من نصيب بعضهم. او ان المراد من الكتاب هنا ليس التوراة بعينها، بل هو ذلك الكتاب السماوي الموحى الذي نزل على موسى نفسه تحت عنوان التوراة، و لم ينزل على بني اسرائيل كلهم. بيد ان قراءة في الروايات الماثورة سواء الواردة عن طريق الشيعة او عن طريق السنة، تثبتنا ان الاحتمال الثاني اقوى. فالله تعالى في هذه الآية يقسم عباده المصطفين الى ثلاثة اقسام، و هم مع اختلافهم فيما بينهم، حتى ان فيهم من يظلم نفسه، لكنهم يتميزون عن غيرهم بصفاء و كلهم ورثة الكتاب على نحو الاجمال، مع ان حقيقة الارث ترتبط بالفريق الثالث السابق بالخيرات.

و الشاهد على ذلك هو ان تلك الجنان الموعودة هي للذين ظلموا انفسهم، و للمقتصدين المعتدلين، و قد اصبحت من نصيبهم بسبب مغفرة الله لهم، و جزاء لاعمالهم.

لان الآيات نطقتبانهم يحمدون الله ربهم و يثنون عليه بصفتي الغفور و الشكور، و هذا المعنى يتناسب مع الذنب و المغفرة، و العمل الصالح و الثواب، و هو ما يتعلق بالفريق الاول و الثاني: و

انهم يحمدون الله الذى اذهب عنهم الحزن و احلهم دار المقامة و جنة الخلد من فضله لا يمسه فيها نصب و لا لغوب. و هذه العبارات الناطقة بالحمد تصدر عن ذينك الفريقين، و لا تصدر عن الفريق الثالث الذي يدخل افراده الجنة بغير حساب متعمين بالامن و الامان في مقعد صدق عند مليك مقتدر.

و يخاطبون بقوله جل من قائل:

يايتها النفس المطمئنة ارجعى الى ربك راضية مرضية

## ورثة الكتاب كلهم من ابناء فاطمة الزهراء

تفيد الروايات الماثورة ان المذكورين في الاقسام الثلاثة جميعهم من ولد فاطمة عليها السلام و كلهم يدخلون الجنة، لكن افراد القسم الاول يدخلونها بعد حساب عسير بسبب ظلمهم انفسهم، و افراد القسم الثاني يدخلونها بعد حساب يسير، اما افراد القسم الثالث، و هم ورثة القرآن، فانهم يدخلونها بغير حساب. نقل محمد بن يعقوب الكليني في كتاب «الكافي» بسنده عن احمد بن عمر انه قال: سألت ابا الحسن الرضا عليه السلام عن قول الله عز و جل: «ثم اورثنا الكتب الذين اصطفينا من عبادنا» - الآية، فقال: ولد فاطمة عليها السلام و السابق بالخيرات الامام، و المقتصد العارف بالامام، و الظالم لنفسه الذي لا يعرف الامام. (5)

و نقل الكليني مثل هذه الرواية بالفاظها نفسها (ماعدا: ولد فاطمة عليها السلام) عن سالم، عن الامام الباقر عليه السلام. (6)

و رواها ابن بابويه ايضا بسنده عن جابر بن يزيد الجعفي، عن الامام الباقر عليه السلام ماعدا قوله: ولد فاطمة عليها السلام لكن جاء في ذيلها قوله: جنت عدن يدخلونها اي: المقتصد و السابق. (7)

و روى الطبرسي عن عبد العزيز، عن الامام الصادق عليه السلام انه قال: الظالم من لا يعرف حق الامام، و المقتصد منا العارف بحق الامام، و السابق بالخيرات الامام، و هؤلاء كلهم مغفور لهم. (8)

و نلاحظ ان الامام الصادق عليه السلام قد فسر الآية كما فسرهما الامام الباقر عليه السلام و قال في ذيلها: كلهم مغفور لهم.

و روى ابن بابويه بسنده عن الامام الصادق عليه السلام انه سئل عن قول الله عز و جل: «ثم اورثنا الكتب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه و منهم مقتصد و منهم سابق بالخيرات باذن الله». فقال: الظالم يحوم حوم نفسه، و المقتصد يحوم حوم قلبه (9) اي انه يراقب قلبه لئلا تبدر منه معصية او تفوته طاعة، و لئلا يعتريه صدا، فيحفظ قلبه دوما طاهرا بنور الطاعة، و السابق يحوم حوم ربه عز و جل (اي انه تخطى قلبه، فهو لا يجد وجودا و قلبا في داخله ليكون في صدد تنزيهه و تطهيره، فهو ناظر دوما الى جمال الحق و تجلياته، مضمحلا في شعاع صفاته و اسمائه، و فانيا في ذاته المقدسة) .

لكن العلامة الطباطبائي نقل ذلك عن «معاني الاخبار» للصدوق، عن الامام الصادق عليه السلام على النحو التالي: الظالم يحوم حوم نفسه، و المقتصد يحوم حوم قلبه، و السابق بالخيرات يحوم حوم ربه. (10)

و القصد واحد في كلتا الحالتين.

و روى محمد بن العباس بن ماهيار، و هو من الموثقين، في تفسيره عن ابي اسحاق السبيعي انه قال: خرجتاجا فلقيت محمد بن علي عليهما السلام فسالته عن هذه الآية: «ثم اورثنا الكتب الذين اصطفينا من عبادنا» فقال: ما يقول فيها قومك يا ابا اسحاق - يعني اهل الكوفة - ؟ قال: قلت: يقولون انها لهم، قال: فما يخوفهم اذا كانوا من اهل الجنة؟ قلت: فما تقول انت جعلت فداك؟ قال: هي لنا خاصة يا ابا اسحاق اما السابقون بالخيرات فعلي و الحسن و الحسين عليهم السلام و الامام منا، و المقتصد فصائم بالنهار و قائم بالليل، و الظالم لنفسه ففيه ما في الناس و هو مغفور له. يا ابا اسحاق بنا يفك الله رقابكم و يحل رباق الذل من اعناقكم و بنا يغفر الله ذنوبكم، و بنا يفتح و بنا يختم، و نحن كهفكم كهف اصحاب الكهف، و نحن سفينتكم كسفينة نوح، و نحن باب حطكم كباب حطة بني اسرائيل. (11)

و روى ابن بابويه، الشيخ الصدوق بسنده عن ابي حمزة الثمالي رضوان الله عليه انه قال: كنت جالسا في المسجد الحرام مع ابي جعفر عليه السلام اذ اتاه رجلان من اهل البصرة فقالا له: يا ابن رسول الله انانريد ان نسالك عن مسألة؟ فقال لهما: سلا عما شئتما قالا: اخبرنا عن قول الله عز و جل: «ثم اورثنا الكتب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه و منهم مقتصد و منهم سابق بالخيرات باذن الله ذلك هو الفضل الكبير» - الى آخر الآيتين - قال: نزلت فينا اهل البيت. قال ابو حمزة الثمالي: فقلت: بابي انت و امي، فمن الظالم لنفسه منكم؟ قال: من استوت حسناته و سيئاته من اهل البيت، فهو الظالم لنفسه، فقلت: من المقتصد منكم؟ قال: العابد لله في الحالين (12) حتى ياتيهِ اليقين. قلت: فمن السابق بالخيرات؟ قال: من دعا و الله الى سبيل ربه و امر بالمعروف و نهى عن المنكر و لم يكن للمضلين عضدا و لا للخائنين خصيما، و لم يرض بحكم الفاسقين الا من خاف على نفسه و دينه و لم يجد اعوانا. (13)

و حدث صاحب كتاب «ثاقب المناقب» عن ابي هاشم الجعفري، قال: كنت عند ابي محمد الحسن العسكري عليه السلام فسالته عن قول الله تعالى:

ثم اورثنا الكتب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه و منهم مقتصد و منهم سابق بالخيرات باذن الله.

قال عليه السلام: كلهم من آل محمد، الظالم لنفسه الذي لا يقر بالامام، و المقتصد العارف بالامام، و السابق بالخيرات باذن الله الامام. قال: فدمعت عينايا و جعلت افكر في نفسي ما اعطى الله آل محمد، فنظر الي و قال: الامر اعظم مما حدثتك به نفسك من عظم شان آل محمد، فاحمد الله فقد جعلك مستمسكا بحبلهم تدعى يوم القيامة لهم اذا دعي كل اناس بامامهم، فابشر يا ابا هاشم و انك على خير. (14)

و روى محمد بن يعقوب الكليني بسنده عن احمد بن حماد، عن ابراهيم، عن ابيه، عن الامام ابي الحسن الاول (موسى بن جعفر) عليهما السلام. قال: قلت له: جعلت فداك اخبرني عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ورث النبيين كلهم؟ قال: نعم، قلت: من لدن آدم حتى انتهى الى نفسه؟ قال: ما بعث الله نبيا الا و محمد صلى الله عليه وآله وسلم اعلم منه، قال: قلت: ان عيسى ابن مريم كان يحيي الموتى باذن الله، قال: صدقت و سليمان بن داود كان يفهم منطق الطير، و كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقدر على هذه المنازل. قال: فقال ان سليمان بن داود. قال للهدد حين فقده و شك في امره فقال: ما لى لا ارى الهدد ام كان من الغائبين. (15)

حين فقده فغضب عليه فقال: لا عذبه عذابا شديدا او لاذبحه او لياتيني بسلطان مبين. و انما غضب لانه كان يدله على الماء فهذا و هو طائر قد اعطي ما لم يعط سليمان، و قد كانت الريح و النمل و الانس و الجن و الشياطين [و] المردة له طائعين و لم يكن يعرف الماء تحت الهواء. و كان الطير يعرفه، (16) و ان الله - يقول في كتابه: و لو ان قرءانا سيرت به الجبال او قطعته الارض او كلم به الموتى و قد ورثنا نحن هذا القرآن الذي فيه ما تسير به الجبال و تقطع به البلدان و تحيي به الموتى. و نحن نعرف الماء تحت الهواء (فلا نحتاج الى الهدد و علمه). و ان في كتاب الله آيات ما يراد بها امر الا ان ياذن الله به مع ما قد ياذن الله مما كتبه الماضون، جعله الله لنا في ام الكتاب. ان الله يقول: «و ما من غيبة فى السماء و الارض الا فى كتب مبين». ثم قال: «ثم اورثنا الكتب الذين اصطفينا من عبادنا» فنحن الذين اصطفانا الله عز و جل و اورثنا هذا الذي فيه تبيان كل شىء. (17)

و نقل في «الكافي» باسناده عن الامام محمد الباقر عليه السلام انه قال: يمصون الثماد (18) و يدعون النهر العظيم. قيل: و ما النهر العظيم؟ قال: رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم و العلم الذي اعطاه الله. ان الله عز و جل جمع لمحمد سنن النبيين من آدم و هلم جرا الى محمد. قيل له: و ما تلك السنن؟ قال: علم النبيين باسره، و ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صير ذلك كله عند امير المؤمنين. (19)

و نقلت هذه الرواية نفسها في «بصائر الدرجات» عن علي بن نعمان. (20) و جاء في «الكافي» ايضا بسنده عن الامام محمد الباقر عليه السلام انه قال: كان جميع الانبياء مائة الف نبي و عشرين الف نبي منهم خمسة اولو العزم: (21) نوح و ابراهيم و موسى و عيسى و محمد صلى الله عليه وآله وسلم و عليهم، و ان علي بن ابي طالب كان هبة الله لمحمد و ورث علما لوصياء و علم من كان قبله. اما ان محمدا ورث علم من كان قبله من الانبياء و المرسلين. (22)

و جاء في «الكافي» و «بصائر الدرجات» باسنادهما عن ضريس الكناني انه قال: كنت عند ابي عبد الله (الصادق) عليه السلام و عنده ابو بصير. فقال ابو عبد الله عليه السلام: ان داود ورث علم الانبياء، و ان سليمان ورث داود، و انا ورثنا محمدا صلى الله عليه وآله وسلم و ان عندنا صحف ابراهيم و الواح موسى عليهما السلام. فقال ابو بصير: ان هذا لهو (23) العلم! فقال: يا ابا بصير ليس



هذا هو العلم. انما العلم ما يحدث بالليل والنهار، يوما بيوم و ساعة بساعة. (24)  
لكن تلك الصحف و الالواح حقيقة اخرى استقرت في وجودنا بنحو كلي و هي لا تقبل الحدوث و  
التغيير، و قد انسابت هذه العلوم اليومية من ذلك المنبع) .

و جاء مثل هذه الرواية في «بصائر الدرجات» عن ايوب بن نوح و محمد بن عيسى، عن صفوان.  
(25)

و في «الكافي» عن ابن مسكان، عن ابي بصير، عن الصادق عليه السلام قال: قال لي: يا ابا  
محمد ان الله عز و جل لم يعط الانبياء شيئا الا و قد اعطاه محمدا جميع ما اعطى الانبياء، و عندنا  
الصحف التي قال الله عز و جل: «صحف ابراهيم و موسى». قلت: جعلت فداك هي الالواح؟ قال:  
نعم. (26)

و في «الكافي» عن هارون بن الجهم انه روى عن رجل من اصحابالصادق عليه السلام لم يحفظ  
اسمه قال: سمعت الصادق عليه السلام يقول: ان عيسى ابن مريم اعطي حرفين كان يعمل بهما، (27)  
و اعطي موسى اربعة احرف، و اعطي ابراهيم ثمانية احرف، و اعطي نوح خمسة عشر حرفا، و  
اعطي آدم خمسة و عشرين حرفا، و ان الله تبارك و تعالى جمع ذلك كله لمحمد صلى الله عليه و آله  
و سلم و ان اسم الله الاعظم ثلاثة و سبعون حرفا، اعطى محمدا اثنين و سبعين حرفا و حجب عنه  
حرف واحد. (28)

و روى في «بصائر الدرجات» بسنده عن ابي حمزة الثمالي، عن الامام السجاد علي بن الحسين  
عليهما السلام انه قال: قلت له: الائمة يحيون الموتى و يبرؤن الاكمه و الابرص و يمشون على الماء؟  
قال: ما اعطى الله نبيا شيئا قط الا و قد اعطاه محمدا صلى الله عليه و آله و سلم و اعطاه ما لم يكن  
عندهم - الخبر. (29)

و فيه بسنده عن جابر، عن الامام الباقر عليه السلام انه قال: اعطى الله محمدا صلى الله عليه و  
آله و سلم مثل ما اعطى آدم فمن دونه من الاوصياء كلهم، يا جابر! هل تعرفون (يعرفون - خ ل)  
ذلك؟ (30)

و جاء في كتاب «الاختصاص» للشيخ المفيد عن عبد الله بن بكير الهجري، عن ابي جعفر عليه  
السلام [انه] قال: ان علي بن ابي طالب كانهبة الله لمحمد صلى الله عليه و آله و سلم، ورث علم  
الاوصياء و علم ما كان قبله، اما ان محمدا ورث علم من كان قبله من الانبياء و المرسلين. (31)

ان ما يستفاد من هذه المجموعة الروائية هو ان جميع الكمالات الروحية و العلمية التي كان يتصف  
بها الانبياء الماضون قد ورثها نبينا محمد صلى الله عليه و آله و سلم عنهم، و ورثها علي امير  
المؤمنين عليه السلام عنه، ثم بعد ذلك ورثها ائمة اهل البيت عليهم السلام عن امير المؤمنين. و لا  
ينحصر هذا الارث في الوحي و العلوم الالهية الخاصة بشرائعهم فحسب، بل و في كافة الحالات و  
الصفات الروحية و كيفية الاتصال بالمبدأ الاعلى من حيث الاسم الخاص الذي كانوا يستاثرون به، بل  
و ان جميع المعجزات و الكرامات التي كانت تصدر عنهم باذن الله، كانت كلها موجودة و منظوية في

نفس النبي المباركة. و لما كانت معجزات الانبياء صادرة عنهم بسبب قدراتهم الروحية و صفاء قلوبهم حيث تجلى امر الله فيهم و ظهرت المعجزات مشعة من نافذة نفوسهم الطاهرة باذن الله، و لما كانت نفوسهم متفاوتة، فان هذه التجليات متفاوتة ايضا، و صدرت عن كل نبي معجزة خاصة.

و لم تكن علومهم الالهية ايضا على نمط و سبيل واحد، فكل واحد منهم قد تشرف بالدخول الى الحرم الالهي - من حيث درك مقام التوحيد و العظمة الالهية - بجانب خاص و اسم مخصوص و اصبح من المخلصين. و ان القابا نحو: روح الله، او كلیم الله، او خليل الله، او نجي الله، او صفي الله، و امثالها ليست القابا شكلية و اعتبارية، بل هي تتبئ عن نوع خاص من الملكات، و كيفية خاصة من النفوس، اذ ان النفحات الالهية فيكل واحد منهم ليست على منوال واحد، بل ان كلا منهم سار من طريق خاص و نمط مخصوص متصفا بصفاء الباطن في اسم من الاسماء الالهية، فظهرت حقيقة ذلك الاسم فيهم. و كانوا يقومون بالمعجزات و الاعمال الخارقة للعادة بواسطة ذلك الاسم. و كانت العلوم الريانية تتساب على قلوبهم من نافذة ذلك الاسم، من عالم العلم الالهي الكلي بواسطة جبريل الامين.

اما الوجود المقدس لخاتم الانبياء و المرسلين الجامع لظهورات الاسماء الالهية كلها، فله نفس واسعة و قلب فسيح، و عنده الاسم الاعظم و مقام الفناء في اسم الاحد و الذات الالهية المقدسة. و لقب خاتم النبيين ليس لقبا شكليا و اعتباريا، بل هو يعبر عن تلك الروح الكبيرة و الاستعداد على السير في جميع الاسماء و الصفات، و تجلي الاسم الاعظم، و تلقي آخر مرتبة من مراتب التوحيد و الفناء في الذات الاحدية و اندكك جميع العوالم و انطوائها في نفسه المباركة، بل اندكك و انطواء جميع علوم الانبياء السابقين و مواهبهم مع كمالاته الروحية و العلمية و التي تدل كلها على معنى خاتم النبيين. فالانبياء اجمع مقدمة الجيش له، و كل منهم وجد طريقه الى الله من زاوية خاصة و طريق خاص، و اصبح له كمال خاص به. بيد ان النفس الواسعة لنبينا العظيم تشرفت بذلك المقام المنيع و تجلت فيها كافة الاسماء الالهية من جميع الزوايا و الطرق. فهو - اذن - وارث الانبياء جميعهم، و جميعهم تحت نفوذه و طوع ارادته متمسكين بشرف الخدمة و الاستشفاع.

«ما عند الابرار جميعهم عندك افضل منه اضعافا مضاعفة» .

فعند سيد الكائنات علوم الانبياء و الاوصياء جميعهم، و عندهم معجزاتهم كلها، و اكثر من ذلك، سيدفع اليه فقط لواء الحمد يوم القيامة فهو امام الحامدين لله كما يليق بمقام حمده.

و قد انتقلت جميع تلك المراتب و الدرجات و الكمالات و الفضائل و الميزات و العلوم و المعجزات و الاسماء الالهية الكلية، و الاسم الاعظم الى خليفته و وصيه و مرآة ظهوره التام، اعني الوجود المبارك لامير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام و سيتحول لواء الحمد يوم القيامة من يد النبي الى يد امير المؤمنين.

ان مقام الوراثة هذا هو في كتاب التكوين و كتاب التشريع، اذ ان علم ما كان و ما يكون الى يوم القيامة و ما هو كائن مشهود في ذهنه، و قدرة الله و عظمة الاسماء الالهية متجلية في نفس الوصي الصافية و ضميره المتللي. ثم اورثنا الكتب الذين اصطفينا من عبادنا.

و على هذا الاساس اعتبر القرآن عليا عليه السلام نفس النبي صلى الله عليه و آله و سلم في آية

و قد وردت احاديث كثيرة عن طريق الشيعة و السنة بهذا الشأن، و شرط الاتحاد بين النفسين الاتحاد في الكمالات و المعارف. و مضافا الى ذلك فقد جاءت احاديث جمة عن طريق الفريقين ماثورة عن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم شبهت امير المؤمنين بآدم، و نوح، و ابراهيم، و موسى، و عيسى، و يحيى و يوسف. و لا يتم التشبيه الا بتحقيق صفة المشبه به في المشبه، بل ان كثيرا منها لم ينص على التشبيه بل نص على المثلية و المساواة. و نذكر فيما يلي بعض الاحاديث المروية عن طريق العامة فقط: روى محمد بن طلحة الشافعي (33) بسنده عن البيهقي، و كذلك روى ابن الصباغ المالكي، (34) في كتاب صنفه في فضائل الصحابة، بسنده عن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم انه قال: من اراد ان ينظر الى آدم في علمه، و الى نوح في تقواه، و الى ابراهيم في حلمه، و الى موسى في هيبته، و الى عيسى في عبادته، فلينظر الى علي بن ابي طالب.

و قال الفخر الرازي عند تفسيره آية المباهلة: ان هذه الآية دلت على ان نفس علي هي نفس محمد. و لما دل الاجماع على ان محمدا صلى الله عليه [و آله] و سلم كان افضل من سائر الانبياء عليهم السلام فيلزم ان يكون علي افضل من سائر الانبياء باستثناء رسول الله. ثم قال: و يؤيد الاستدلال بهذه الآية الحديث المقبول عند الموافق و المخالف، و هو قوله صلى الله عليه [و آله] و سلم. من اراد ان يرى آدم في علمه، و نوحا في طاعته، و ابراهيم في خلته، و موسى في هيبته، و عيسى في صفوته، فلينظر الى علي بن ابي طالب.

ثم قال: فالحديث دل على انه اجتمع فيه ما كان متفرقا فيهم. و ذلك يدل على ان عليا افضل من جميع الانبياء. و اما الشيعة فقد كانوا قديما و حديثا يستدلون بهذه الآية على ان عليا رضي الله عنه افضل من سائر الصحابة، لان الآية لما دلت على ان نفس علي رضي الله عنه مثل نفس محمد صلى الله عليه و آله و سلم الا فيما خصه الدليل، و كانت نفس محمد صلى الله عليه [و آله] و سلم افضل من الصحابة، فوجب ان تكون نفس علي افضل من سائر الصحابة. (35)

## الدرس السادس و الاربعون الى الدرس الحادى و الخمسين

تفسير الآية: ثم اورثنا الكتب الذين اصطفينا من عبادنا...

بسم الله الرحمن الرحيم

و صلى الله على محمد و آله الطاهرين و لعنة الله على اعدائهم اجمعين من الآن الى قيام يوم الدين و لا حول و لا قوة الا بالله العلي العظيم

قال الله الحكيم في كتابه الكريم:

و الذي اوحينا اليك من الكتب هو الحق مصدقا لما بين يديه ان الله بعباده لخبير بصير. ثم اورثنا الكتب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه و منهم مقتصد و منهم سابق بالخيرت باذن الله ذلك هو الفضل الكبير. (1)

تخاطب الآية الاولى الرسول الاكرم صلى الله عليه و آله و سلم مبينة ان الكتاب الذي اوحى اليه هو الحق، و هو القرآن المجيد المصدق لجميع الكتب السماوية النازلة من الله على من سبقه من الانبياء. و تتحدث الآية الثانية حول انتقال القرآن الكريم نفسه الى المصطفين من عباد الله بعد النبي بوصفه ارثا.

و على الرغم من ان بعض المفسرين قد ترددوا في تفسير معنى الكتاب و قالوا: لعل فيه اشارة الى جنس الكتب السماوية او الى خصوص التوراة و الانجيل، بيد ان هذا التردد لا قيمة له من وجهة النظر الواقعية، لان اللام في الكتاب ليست للجنس، كما انته لم يتقدم على هاتين الآيتين ذكر التوراة و الانجيل في الآيات التي سبقتهما لتدل عليهما بصفتها لاما للعهد، بيد انه لما كان الكتاب في الآية الاولى هو القرآن الكريم الموحى الى النبي صلى الله عليه و آله و سلم و ان هذا الكتاب قد ذكر مباشرة بعد تلك الآية بوصفه ارثا لمن اصطفاهم الله من عباده، فلا بد ان تكون اللام في الكتاب هي لام العهد مشيرة الى القرآن المجيد نفسه. و مفادها و مفهومها ان الله تعالى قد اورث القرآن من اجتباهم من عباده. و سبب ورود التعبير القرآني بصيغة الماضي الملحوظة في كلمة: اورثنا، هو لتحقيق وقوعه و تثبيته في القضاء الالهي، كما لو اوصى احد باعطاء ماله او كتابه لابنه، فقال: يا بني اوصيتباعطائك المال الفلاني او الكتاب الفلاني. و يقول اهل الفن ان الاعمال التي سيتحقق وقوعها في المستقبل على نحو الحتم و اليقين هي في حكم الاعمال المتحققة. و المراد من ارث القرآن، انتقال القرآن الى الوارث من جميع الجهات، لان حقيقة معنى الارث في كل شيء هو انتقال ذلك الشيء الى آخر بحيث يقوم هذا به، و ياخذ على عاتقه الاضطلاع بشؤونه. و على سبيل المثال، فعندما يموت شخص و يترك مالا موروثا، فان الوارث يتصرف فيه و كانه وارثه الحقيقي، و ما عليه الا القيام بما فيه مصلحة المال من حيث حفظه و الاهتمام به و وضعه في محله. و تتعلق به ملكيته ايضا كما كانت لصاحبه من قبل.

و للارث في الحكومة و السلطنة هذا المعنى ذاته، يقولون: فلان وارث ابيه في السلطنة، او زيد

اورث نجله حكومته، او فلان وارث ابيه في العلم، او فلان هو وارث ابيه الوحيد في العلوم و الفنون من بين ابنائه الآخرين، اي انه اخذ عن ابيه تلك العلوم و الفنون، و هو لها اهل.

## القصد من وراثة القرآن

و على هذا النسق يجري ارث القرآن المجيد في هذه الآية المباركة.اي: ان نفس تلك الحقائق التي عرفها الله نبيه من القرآن المجيد، الظاهرة منها كالاحكام العامة و الخاصة و المجمل و المبين، و المطلق و المقيد و الناسخ و المنسوخ، و قصص الانبياء و الامم الماضية، و الاخلاق و المعارف الدينية، و التوحيد بجميع مراتبه و الوعد و الوعيد و المصالح و المفسد و مراتب النفس و ظهورها في العوالم الاخرى، و الباطنة منها كالتاويل، و التفسير، و الكلية، و التطبيق، و الجري و الحقائق المنطوية في الآيات مثل: حقيقة عالم الطبع، و عالم البرزخ و الصور المثالية، و عالم العقل و الملائكة و الروح و مقاماتهم، و درجات اهل الثواب و دركات اهل المعصية، و حقيقة التوحيد الخالص و ادراكه، و كيفية احاطة الاسماء و الصفات الالهية بجميع العوالم، و اندكك الاسماء و الصفات في الذات، و حقيقة التجلي لجميع العوالم، و الآيات الالهية الآفاقية و الانفسية و غيرها، فهذه الحقائق كلها قد اودعها الله ورثة القرآن، بحيث انهم يمثلون خلفاء رسول الله و النازلين منزلته في تلك المعاني كلها، و انهم الامتداد الطبيعي للرسول الاكرم في القيام بها و حفظها، و العمل على ما فيه مصالح الامة وفقا لمدلولها.

في ضوء ذلك فان وارث القرآن يمثل نسخة الاصل من وجود رسول الله و سيتجلي القرآن في وجود الوارثين واحدا تلو الآخر كنجو تجلي القرآن المحكم و القرآن المفصل كتب احكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير، (2) لانه ينبغي ان تكون هناك نسبة واقعية بينالمورث و الوارث، فلا يورث كل شيء لكل احد، فابن الوزير او ابن العضو النيابي لا يرث الحكومة و الملك، و لا يرث ابن عامل القمامة فن الطب من الطبيب، و لا يرث الجاهل غير الجدير علم العالم.و يمكننا ان نطل من هذه النافذة لنشهد وارثي القرآن المجيد، فانهم اشبه الناس بالنبي الاكرم و اقربهم منه، بل انهم، في الصفات و صفاء الباطن و الاستعدادات لتلقي الحقائق و بواطن القرآن، ذوو صدور رحبة و قلوب قوية كالرسول الاعظم صلى الله عليه و آله و سلم.

و في ضوء ذلك، يقول الله جل شاناه:

ثم اورثنا الكتب الذين اصطفينا من عبادنا...

اذ ان معنى الاصطفاء هو اختيار خالص الشيء و خياره.

و قوله: من عبادنا

بيانية كما يبدو، لان الاضافة في كلمة «عبادنا» للتشريف، و يريد ان يقول بان هؤلاء المصطفين و

وارثي القرآن يتصفون بعبوديتهم لنا، كما في قوله عز و جل:

و سلم على عباده الذين اصطفى. (3)

و اما قوله:

فمنهم ظالم لنفسه و منهم مقتصد و منهم سابق بالخيرات باذن الله،

فلعله من اجل تقسيم العباد الى ثلاث مجموعات، فيما اذا رجع الضمير في كلمة «منهم» الى العباد، و في هذه الحالة، فان الجملة ستكون تعليلا للجملة التي سبقتها، اي: اننا اورثنا القرآن الذين اصطفينا من عبادنا لان عبادنا جميعهم غير متساوين بل هم ثلاث مجموعات، و من الطبيعي فان افضل هذه المجموعات و هي المجموعة السابقة بالخيرات ترث القرآن و ستكون الجنات الموعودة في الآيات الثلاث التالية لها من نصيبهم:

جنت عدن يدخلونها يحلون فيها من اساور من ذهب و لؤلؤا و لباسهم فيها حرير و قالوا الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور الذي احلنا دار المقامة من فضله لا يمسنا فيها نصب و لا يمسنا فيها لغوب. (4)

و لعله من اجل تقسيم المصطفين، اي اننا اورثنا القرآن الذين اصطفيناهم من عبادنا، و هم ثلاثة اقسام: الاول: الذين ظلموا انفسهم.الثاني: الذين سلكوا سبيل العدل و الانصاف و الاعتدال.الثالث: الذين احرزوا قصب السبق في مجال الخيرات و الحسنات، و تفوقوا على الجميع باذن الله، و القرآن بوصفه ارثا وصل الى هؤلاء جميعهم لانهم من المصطفين مع اختلاف في الدرجات و المراتب. هذا مع ان الوارث الحقيقي للقرآن و القائم بامرته هو القسم الثالث من بين هؤلاء طبعاً، و هم السابقون.

و هذا اللون من الاستعمال شائع ايضا في العرف و لغة المحاورة فنجد ان شيئا خاصا بشخص ينسب الى جماعة لها معه ارتباط، كما يقال: حصل الفريق الفلاني على الجائزة الفلانية بينما نجد الجائزة من نصيب احد اعضاء الفريق، او يقال: نزل القرآن على اهل مكة، ثم نزل على اهل المدينة بينما هو نزل على رسول الله خاصة.و في القرآن المجيد استعمالات كثيرة من هذا القبيل.جاء في الآيتين 53 و 54 من سورة المؤمن قوله:

و لقد اتينا موسى الهدى و اورثنا بنى اسرائيل الكتب هدى و ذكرى لاولى الالباب.

في حين ان التوراة لم يؤتها بنو اسرائيل جميعهم، و بعد موسى عليه السلام كانت من نصيب بعضهم.او ان المراد من الكتاب هنا ليس التوراة بعينها، بل هو ذلك الكتاب السماوي الموحى الذي نزل على موسى نفسه تحت عنوان التوراة، و لم ينزل على بني اسرائيل كلهم.بيد ان قراءة في الروايات الماثورة سواء الواردة عن طريق الشيعة او عن طريق السنة، تثبتنا ان الاحتمال الثاني اقوى. فالله تعالى في هذه الآية يقسم عباده المصطفين الى ثلاثة اقسام، و هم مع اختلافهم فيما بينهم، حتى ان فيهم من يظلم نفسه، لكنهم يتميزون عن غيرهم بصفاء و كلهم ورثة الكتاب على نحو الاجمال، مع ان حقيقة الارث ترتبط بالفريق الثالث السابق بالخيرات.

و الشاهد على ذلك هو ان تلك الجنان الموعودة هي للذين ظلموا انفسهم، و للمقتصدين المعتدلين، و قد اصبحت من نصيبهم بسبب مغفرة الله لهم، و جزاء لاعمالهم.

لان الآيات نطقتبانهم يحمدون الله ربهم و يثنون عليه بصفتي الغفور و الشكور، و هذا المعنى يتناسب مع الذنب و المغفرة، و العمل الصالح و الثواب، و هو ما يتعلق بالفريق الاول و الثاني: و

انهم يحمدون الله الذى اذهب عنهم الحزن و اهلهم دار المقامة و جنة الخلد من فضله لا يمسه فيها نصب و لا لغوب. و هذه العبارات الناطقة بالحمد تصدر عن ذينك الفريقين، و لا تصدر عن الفريق الثالث الذي يدخل افراده الجنة بغير حساب متعمين بالامن و الامان في مقعد صدق عند مليك مقتدر.

و يخاطبون بقوله جل من قائل:

يايتها النفس المطمئنة ارجعى الى ربك راضية مرضية

## ورثة الكتاب كلهم من ابناء فاطمة الزهراء

تفيد الروايات الماثورة ان المذكورين في الاقسام الثلاثة جميعهم من ولد فاطمة عليها السلام و كلهم يدخلون الجنة، لكن افراد القسم الاول يدخلونها بعد حساب عسير بسبب ظلمهم انفسهم، و افراد القسم الثاني يدخلونها بعد حساب يسير، اما افراد القسم الثالث، و هم ورثة القرآن، فانهم يدخلونها بغير حساب. نقل محمد بن يعقوب الكليني في كتاب «الكافي» بسنده عن احمد بن عمر انه قال: سألت ابا الحسن الرضا عليه السلام عن قول الله عز و جل: «ثم اورثنا الكتب الذين اصطفينا من عبادنا» - الآية، فقال: ولد فاطمة عليها السلام و السابق بالخيرات الامام، و المقتصد العارف بالامام، و الظالم لنفسه الذي لا يعرف الامام. (5)

و نقل الكليني مثل هذه الرواية بالفاظها نفسها (ماعدا: ولد فاطمة عليها السلام) عن سالم، عن الامام الباقر عليه السلام. (6)

و رواها ابن بابويه ايضا بسنده عن جابر بن يزيد الجعفي، عن الامام الباقر عليه السلام ماعدا قوله: ولد فاطمة عليها السلام لكن جاء في ذيلها قوله: جنت عدن يدخلونها اي: المقتصد و السابق. (7)

و روى الطبرسي عن عبد العزيز، عن الامام الصادق عليه السلام انه قال: الظالم من لا يعرف حق الامام، و المقتصد منا العارف بحق الامام، و السابق بالخيرات الامام، و هؤلاء كلهم مغفور لهم. (8)

و نلاحظ ان الامام الصادق عليه السلام قد فسر الآية كما فسرهما الامام الباقر عليه السلام و قال في ذيلها: كلهم مغفور لهم.

و روى ابن بابويه بسنده عن الامام الصادق عليه السلام انه سئل عن قول الله عز و جل: «ثم اورثنا الكتب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه و منهم مقتصد و منهم سابق بالخيرت باذن الله». فقال: الظالم يحوم حوم نفسه، و المقتصد يحوم حوم قلبه (9) اي انه يراقب قلبه لئلا تبدر منه معصية او تفوته طاعة، و لئلا يعتريه صدا، فيحفظ قلبه دوما طاهرا بنور الطاعة، و السابق يحوم حوم ربه عز و جل (اي انه تخطى قلبه، فهو لا يجد وجودا و قلبا في داخله ليكون في صدد تنزيهه و تطهيره، فهو ناظر دوما الى جمال الحق و تجلياته، مضمحلا في شعاع صفاته و اسمائه، و فانيا في ذاته المقدسة) .

لكن العلامة الطباطبائي نقل ذلك عن «معاني الاخبار» للصدوق، عن الامام الصادق عليه السلام على النحو التالي: الظالم يحوم حوم نفسه، و المقتصد يحوم حوم قلبه، و السابق بالخيرات يحوم حوم ربه. (10)

و القصد واحد في كلتا الحالتين.

و روى محمد بن العباس بن ماهيار، و هو من الموثقين، في تفسيره عن ابي اسحاق السبيعي انه قال: خرجتاجا فلقيت محمد بن علي عليهما السلام فسالته عن هذه الآية: «ثم اورثنا الكتب الذين اصطفينا من عبادنا» فقال: ما يقول فيها قومك يا ابا اسحاق - يعني اهل الكوفة - ؟ قال: قلت: يقولون انها لهم، قال: فما يخوفهم اذا كانوا من اهل الجنة؟ قلت: فما تقول انت جعلت فداك؟ قال: هي لنا خاصة يا ابا اسحاق اما السابقون بالخيرات فعلي و الحسن و الحسين عليهم السلام و الامام منا، و المقتصد فصائم بالنهار و قائم بالليل، و الظالم لنفسه ففيه ما في الناس و هو مغفور له. يا ابا اسحاق بنا يفك الله رقابكم و يحل رباق الذل من اعناقكم و بنا يغفر الله ذنوبكم، و بنا يفتح و بنا يختم، و نحن كهفكم كهف اصحاب الكهف، و نحن سفينتكم كسفينة نوح، و نحن باب حطكم كباب حطة بني اسرائيل. (11)

و روى ابن بابويه، الشيخ الصدوق بسنده عن ابي حمزة الثمالي رضوان الله عليه انه قال: كنت جالسا في المسجد الحرام مع ابي جعفر عليه السلام اذ اتاه رجلان من اهل البصرة فقالا له: يا ابن رسول الله انانريد ان نسالك عن مسألة؟ فقال لهما: سلا عما شئتما قالا: اخبرنا عن قول الله عز و جل: «ثم اورثنا الكتب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه و منهم مقتصد و منهم سابق بالخيرات باذن الله ذلك هو الفضل الكبير» - الى آخر الآيتين - قال: نزلت فينا اهل البيت. قال ابو حمزة الثمالي: فقلت: بابي انت و امي، فمن الظالم لنفسه منكم؟ قال: من استوت حسناته و سيئاته من اهل البيت، فهو الظالم لنفسه، فقلت: من المقتصد منكم؟ قال: العابد لله في الحالين (12) حتى ياتيهِ اليقين. قلت: فمن السابق بالخيرات؟ قال: من دعا و الله الى سبيل ربه و امر بالمعروف و نهى عن المنكر و لم يكن للمضلين عضدا و لا للخائنين خصيما، و لم يرض بحكم الفاسقين الا من خاف على نفسه و دينه و لم يجد اعوانا. (13)

و حدث صاحب كتاب «ثاقب المناقب» عن ابي هاشم الجعفري، قال: كنت عند ابي محمد الحسن العسكري عليه السلام فسالته عن قول الله تعالى:

ثم اورثنا الكتب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه و منهم مقتصد و منهم سابق بالخيرات باذن الله.

قال عليه السلام: كلهم من آل محمد، الظالم لنفسه الذي لا يقر بالامام، و المقتصد العارف بالامام، و السابق بالخيرات باذن الله الامام. قال: فدمعت عيناوي و جعلت افكر في نفسي ما اعطى الله آل محمد، فنظر الي و قال: الامر اعظم مما حدثت بك به نفسك من عظم شان آل محمد، فاحمد الله فقد جعلك مستمسكا بحبلهم تدعى يوم القيامة لهم اذا دعي كل اناس بامامهم، فابشر يا ابا هاشم و انك على خير. (14)



و روى محمد بن يعقوب الكليني بسنده عن احمد بن حماد، عن ابراهيم، عن ابيه، عن الامام ابي الحسن الاول (موسى بن جعفر) عليهما السلام. قال: قلت له: جعلت فداك اخبرني عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ورث النبيين كلهم؟ قال: نعم، قلت: من لدن آدم حتى انتهى الى نفسه؟ قال: ما بعث الله نبيا الا و محمد صلى الله عليه وآله وسلم اعلم منه، قال: قلت: ان عيسى ابن مريم كان يحيي الموتى باذن الله، قال: صدقت و سليمان بن داود كان يفهم منطق الطير، و كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقدر على هذه المنازل. قال: فقال ان سليمان بن داود. قال للهدد حين فقده و شك في امره فقال: ما لى لا ارى الهدد ام كان من الغائبين. (15)

حين فقده فغضب عليه فقال: لا عذبه عذابا شديدا او لاذبحه او لياتيني بسلطان مبين. و انما غضب لانه كان يدله على الماء فهذا و هو طائر قد اعطي ما لم يعط سليمان، و قد كانت الريح و النمل و الانس و الجن و الشياطين [و] المردة له طائعين و لم يكن يعرف الماء تحت الهواء. و كان الطير يعرفه، (16) و ان الله - يقول في كتابه: و لو ان قرءانا سيرت به الجبال او قطعته الارض او كلم به الموتى و قد ورثنا نحن هذا القرآن الذي فيه ما تسير به الجبال و تقطع به البلدان و تحيي به الموتى. و نحن نعرف الماء تحت الهواء (فلا نحتاج الى الهدد و علمه). و ان في كتاب الله آيات ما يراد بها امر الا ان ياذن الله به مع ما قد ياذن الله مما كتبه الماضون، جعله الله لنا في ام الكتاب.

ان الله يقول: «و ما من غيبة فى السماء و الارض الا فى كتب مبين». ثم قال: «ثم اورثنا الكتب الذين اصطفينا من عبادنا» فنحن الذين اصطفانا الله عز و جل و اورثنا هذا الذي فيه تبيان كل شىء. (17)

و نقل في «الكافي» باسناده عن الامام محمد الباقر عليه السلام انه قال: يمصون الثماد (18) و يدعون النهر العظيم. قيل: و ما النهر العظيم؟ قال: رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم و العلم الذي اعطاه الله. ان الله عز و جل جمع لمحمد سنن النبيين من آدم و هلم جرا الى محمد. قيل له: و ما تلك السنن؟ قال: علم النبيين باسره، و ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صير ذلك كله عند امير المؤمنين. (19)

و نقلت هذه الرواية نفسها في «بصائر الدرجات» عن علي بن نعمان. (20) و جاء في «الكافي» ايضا بسنده عن الامام محمد الباقر عليه السلام انه قال: كان جميع الانبياء مائة الف نبي و عشرين الف نبي منهم خمسة اولو العزم: (21) نوح و ابراهيم و موسى و عيسى و محمد صلى الله عليه وآله وسلم و عليهم، و ان علي بن ابي طالب كان هبة الله لمحمد و ورث علما لاوصياء و علم من كان قبله. اما ان محمدا ورث علم من كان قبله من الانبياء و المرسلين. (22)

و جاء في «الكافي» و «بصائر الدرجات» باسنادهما عن ضريس الكناني انه قال: كنت عند ابي عبد الله (الصادق) عليه السلام و عنده ابو بصير. فقال ابو عبد الله عليه السلام: ان داود ورث علم الانبياء، و ان سليمان ورث داود، و انا ورثنا محمدا صلى الله عليه وآله وسلم و ان عندنا صحف ابراهيم و الواح موسى عليهما السلام. فقال ابو بصير: ان هذا لهو (23) العلم! فقال: يا ابا بصير ليس

هذا هو العلم. انما العلم ما يحدث بالليل والنهار، يوما بيوم و ساعة بساعة. (24)  
لكن تلك الصحف و الالواح حقيقة اخرى استقرت في وجودنا بنحو كلي و هي لا تقبل الحدوث و  
التغيير، و قد انسابت هذه العلوم اليومية من ذلك المنبع) .

و جاء مثل هذه الرواية في «بصائر الدرجات» عن ايوب بن نوح و محمد بن عيسى، عن صفوان.  
(25)

و في «الكافي» عن ابن مسكان، عن ابي بصير، عن الصادق عليه السلام قال: قال لي: يا ابا  
محمد ان الله عز و جل لم يعط الانبياء شيئا الا و قد اعطاه محمدا جميع ما اعطى الانبياء، و عندنا  
الصحف التي قال الله عز و جل: «صحف ابراهيم و موسى». قلت: جعلت فداك هي الالواح؟ قال:  
نعم. (26)

و في «الكافي» عن هارون بن الجهم انه روى عن رجل من اصحابالصادق عليه السلام لم يحفظ  
اسمه قال: سمعت الصادق عليه السلام يقول: ان عيسى ابن مريم اعطي حرفين كان يعمل بهما، (27)  
و اعطي موسى اربعة احرف، و اعطي ابراهيم ثمانية احرف، و اعطي نوح خمسة عشر حرفا، و  
اعطي آدم خمسة و عشرين حرفا، و ان الله تبارك و تعالى جمع ذلك كله لمحمد صلى الله عليه و آله  
و سلم و ان اسم الله الاعظم ثلاثة و سبعون حرفا، اعطى محمدا اثنين و سبعين حرفا و حجب عنه  
حرف واحد. (28)

و روى في «بصائر الدرجات» بسنده عن ابي حمزة الثمالي، عن الامام السجاد علي بن الحسين  
عليهما السلام انه قال: قلت له: الائمة يحيون الموتى و يبرؤن الاكمه و الابرص و يمشون على الماء؟  
قال: ما اعطى الله نبيا شيئا قط الا و قد اعطاه محمدا صلى الله عليه و آله و سلم و اعطاه ما لم يكن  
عندهم - الخبر. (29)

و فيه بسنده عن جابر، عن الامام الباقر عليه السلام انه قال: اعطى الله محمدا صلى الله عليه و  
آله و سلم مثل ما اعطى آدم فمن دونه من الاوصياء كلهم، يا جابر! هل تعرفون (يعرفون - خ ل)  
ذلك؟ (30)

و جاء في كتاب «الاختصاص» للشيخ المفيد عن عبد الله بن بكير الهجري، عن ابي جعفر عليه  
السلام [انه] قال: ان علي بن ابي طالب كانهبة الله لمحمد صلى الله عليه و آله و سلم، ورث علم  
الاوصياء و علم ما كان قبله، اما ان محمدا ورث علم من كان قبله من الانبياء و المرسلين. (31)

ان ما يستفاد من هذه المجموعة الروائية هو ان جميع الكمالات الروحية و العلمية التي كان يتصف  
بها الانبياء الماضون قد ورثها نبينا محمد صلى الله عليه و آله و سلم عنهم، و ورثها علي امير  
المؤمنين عليه السلام عنه، ثم بعد ذلك ورثها ائمة اهل البيت عليهم السلام عن امير المؤمنين. و لا  
ينحصر هذا الارث في الوحي و العلوم الالهية الخاصة بشرائعهم فحسب، بل و في كافة الحالات و  
الصفات الروحية و كيفية الاتصال بالمبدأ الاعلى من حيث الاسم الخاص الذي كانوا يستاثرون به، بل  
و ان جميع المعجزات و الكرامات التي كانت تصدر عنهم باذن الله، كانت كلها موجودة و منظوية في

نفس النبي المباركة. و لما كانت معجزات الانبياء صادرة عنهم بسبب قدراتهم الروحية و صفاء قلوبهم حيث تجلى امر الله فيهم و ظهرت المعجزات مشعة من نافذة نفوسهم الطاهرة باذن الله، و لما كانت نفوسهم متفاوتة، فان هذه التجليات متفاوتة ايضا، و صدرت عن كل نبي معجزة خاصة.

و لم تكن علومهم الالهية ايضا على نمط و سبيل واحد، فكل واحد منهم قد تشرف بالدخول الى الحرم الالهي - من حيث درك مقام التوحيد و العظمة الالهية - بجانب خاص و اسم مخصوص و اصبح من المخلصين. و ان القابا نحو: روح الله، او كلیم الله، او خليل الله، او نجي الله، او صفي الله، و امثالها ليست القابا شكلية و اعتبارية، بل هي تتبئ عن نوع خاص من الملكات، و كيفية خاصة من النفوس، اذ ان النفحات الالهية فيكل واحد منهم ليست على منوال واحد، بل ان كلا منهم سار من طريق خاص و نمط مخصوص متصفا بصفاء الباطن في اسم من الاسماء الالهية، فظهرت حقيقة ذلك الاسم فيهم. و كانوا يقومون بالمعجزات و الاعمال الخارقة للعادة بواسطة ذلك الاسم. و كانت العلوم الريانية تتساب على قلوبهم من نافذة ذلك الاسم، من عالم العلم الالهي الكلي بواسطة جبريل الامين.

اما الوجود المقدس لخاتم الانبياء و المرسلين الجامع لظهورات الاسماء الالهية كلها، فله نفس واسعة و قلب فسيح، و عنده الاسم الاعظم و مقام الفناء في اسم الاحد و الذات الالهية المقدسة. و لقب خاتم النبيين ليس لقبا شكليا و اعتباريا، بل هو يعبر عن تلك الروح الكبيرة و الاستعداد على السير في جميع الاسماء و الصفات، و تجلي الاسم الاعظم، و تلقي آخر مرتبة من مراتب التوحيد و الفناء في الذات الاحدية و اندكك جميع العوالم و انطوائها في نفسه المباركة، بل اندكك و انطواء جميع علوم الانبياء السابقين و مواهبهم مع كمالاته الروحية و العلمية و التي تدل كلها على معنى خاتم النبيين. فالانبياء اجمع مقدمة الجيش له، و كل منهم وجد طريقه الى الله من زاوية خاصة و طريق خاص، و اصبح له كمال خاص به. بيد ان النفس الواسعة لنبينا العظيم تشرفت بذلك المقام المنيع و تجلت فيها كافة الاسماء الالهية من جميع الزوايا و الطرق. فهو - اذن - وارث الانبياء جميعهم، و جميعهم تحت نفوذه و طوع ارادته متمسكين بشرف الخدمة و الاستشفاع.

«ما عند الابرار جميعهم عندك افضل منه اضعافا مضاعفة» .

فعند سيد الكائنات علوم الانبياء و الاوصياء جميعهم، و عندهم معجزاتهم كلها، و اكثر من ذلك، سيدفع اليه فقط لواء الحمد يوم القيامة فهو امام الحامدين لله كما يليق بمقام حمده. و قد انتقلت جميع تلك المراتب و الدرجات و الكمالات و الفضائل و الميزات و العلوم و المعجزات و الاسماء الالهية الكلية، و الاسم الاعظم الى خليفته و وصيه و مرآة ظهوره التام، اعني الوجود المبارك لامير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام و سيتحول لواء الحمد يوم القيامة من يد النبي الى يد امير المؤمنين.

ان مقام الوراثة هذا هو في كتاب التكوين و كتاب التشريع، اذ ان علم ما كان و ما يكون الى يوم القيامة و ما هو كائن مشهود في ذهنه، و قدرة الله و عظمة الاسماء الالهية متجلية في نفس الوصي الصافية و ضميره المتللي. ثم اورثنا الكتب الذين اصطفينا من عبادنا.

و على هذا الاساس اعتبر القرآن عليا عليه السلام نفس النبي صلى الله عليه و آله و سلم في آية

و قد وردت احاديث كثيرة عن طريق الشيعة و السنة بهذا الشأن، و شرط الاتحاد بين النفسين الاتحاد في الكمالات و المعارف. و مضافا الى ذلك فقد جاءت احاديث جمة عن طريق الفريقين ماثورة عن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم شبهت امير المؤمنين بآدم، و نوح، و ابراهيم، و موسى، و عيسى، و يحيى و يوسف. و لا يتم التشبيه الا بتحقيق صفة المشبه به في المشبه، بل ان كثيرا منها لم ينص على التشبيه بل نص على المثلية و المساواة. و نذكر فيما يلي بعض الاحاديث المروية عن طريق العامة فقط: روى محمد بن طلحة الشافعي (33) بسنده عن البيهقي، و كذلك روى ابن الصباغ المالكي، (34) في كتاب صنفه في فضائل الصحابة، بسنده عن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم انه قال: من اراد ان ينظر الى آدم في علمه، و الى نوح في تقواه، و الى ابراهيم في حلمه، و الى موسى في هيبته، و الى عيسى في عبادته، فلينظر الى علي بن ابي طالب.

و قال الفخر الرازي عند تفسيره آية المباهلة: ان هذه الآية دلت على ان نفس علي هي نفس محمد. و لما دل الاجماع على ان محمدا صلى الله عليه [و آله] و سلم كان افضل من سائر الانبياء عليهم السلام فيلزم ان يكون علي افضل من سائر الانبياء باستثناء رسول الله. ثم قال: و يؤيد الاستدلال بهذه الآية الحديث المقبول عند الموافق و المخالف، و هو قوله صلى الله عليه [و آله] و سلم. من اراد ان يرى آدم في علمه، و نوحا في طاعته، و ابراهيم في خلته، و موسى في هيبته، و عيسى في صفوته، فلينظر الى علي بن ابي طالب.

ثم قال: فالحديث دل على انه اجتمع فيه ما كان متفرقا فيهم. و ذلك يدل على ان عليا افضل من جميع الانبياء. و اما الشيعة فقد كانوا قديما و حديثا يستدلون بهذه الآية على ان عليا رضي الله عنه افضل من سائر الصحابة، لان الآية لما دلت على ان نفس علي رضي الله عنه مثل نفس محمد صلى الله عليه و آله و سلم الا فيما خصه الدليل، و كانت نفس محمد صلى الله عليه [و آله] و سلم افضل من الصحابة، فوجب ان تكون نفس علي افضل من سائر الصحابة. (35)

## الدرس الثانى و الخمسون و الثالث و الخمسون

تفسير الآية: و يقول الذين كفروا لست مرسلا قل كفى بالله شهيدا بيني و بينكم و من عنده علم الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

و صلى الله على محمد و آله الطاهرين و لعنة الله على اعدائهم اجمعين من الآن الى قيام يوم الدين و لا حول و لا قوة الا بالله العلي العظيم

قال الله الحكيم في كتابه الكريم:

و يقول الذين كفروا لست مرسلا قل كفى بالله شهيدا بيني و بينكم و من عنده علم الكتاب. (1)  
اتفق علماء الشيعة على ان الذي عنده علم الكتاب في هذه الآية الكريمة هو امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام. و ان رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم مكلف من قبل الله تعالى ان يقول للذين امتنعوا عن قبول القرآن و الرسالة: ان افضل شاهد بيني و بينكم على صدق دعواي و على احقية القرآن هو الذات المقدسة الربوبية، و امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام العالم بكتاب الله، و المحيط بحقائقه و اسراره و الخبير بدقائقه و لطائفه و ظاهره و باطنه. و اجمعت الروايات الماثورة عن اهل البيت عليهم السلام بلا اي خلاف في ذلك، ان الآية نزلت في علي عليه السلام. و وافقهم على ذلك جمع كثير من علماء العامة، على الرغم من ان بعضهم قال بان الذي عنده علم الكتاب، ذات الله نفسه، او جبرئيل، او علماء اليهود و النصارى العالمون بالتوراة و الانجيل، او في خصوص عبد الله بن سلام الذي كان قد اسلم.

يقول ابو الفتوح الرازي: قال بعض المفسرين: هو عبد الله بن سلام. و لكن اغلب المفسرين من القدماء، و المحدثين، و اهل الاخبار و الاسناد و الروايات من الموافقين و المخالفين ذهبوا الى ان الذى عنده علم الكتاب، هو: امير المؤمنين علي بن ابي طالب. (2)

و يقول الزمخشري: المراد هو الذي عنده علم القرآن، و ما الف عليه من النظم المعجز الفائق لقوى البشر. ثم يبين سائر الاحتمالات و الاقوال بقوله: و «قيل». (3)

و قيل ان نخوض في الروايات الماثورة عن العامة و الخاصة بشأن الآية، و كذلك قبل ان نتطرق الى الاحتمالات و الاقوال المطروحة حول الآية، لا بد لنا من جولة مجملة في اجواء السورة المباركة التي تضم هذه الآية، و هي سورة الرعد، كي يتحدد موقع هذه الآية، و في هذه الجولة نفسها جواب تلقائي على بعض الاحتمالات او الاقوال.

فقد نزلت هذه السورة لاثبات احقية الكتاب الالهي، و هو القرآن الكريم، حيال المنكرين الذين انكروا القرآن بوصفه معجزة، و طلبوا من رسول الله معجزة اخرى محسوسة و مشهودة تنزل عليهم من السماء. و آيات هذه السورة من اولها حتى آخرها متصلة و مترابطة فيما بينها كحبات اللؤلؤ المنتظمة

في خيط، اذ تُولف شكلا خاصا و صورة جميلة اولها مرتبط بأخرها و آخرها ناظر و مرتبط بأولها. و الآية المشار إليها واقعة في آخر السورة، و هي تتكفل بالاجابة على جميع ما طرحه المشركون من مؤاخذات بحيث اننا لو رفعنا هذه الآية من السورة، فان السورة تظل ناقصة كأنها كاس مثلوم، و تتحدر من ذروة عظمتها و رفعتها.

تبدأ الآية الاولى من السورة بهذا الخطاب:

المر تلك آيات الكتب و الذى انزل اليك من ربك الحق و لكن اكثر الناس لا يؤمنون و تنتقل بعد ذلك الى ذكر الله الذي رفع السماوات بغير عمد مرئية و استوى على العرش، و سخر الشمس و القمر كل يجري لاجل مسمى و الذى مد الارض، و جعل فيها رواسي و انهارا، و جعل فيها من كل الثمرات، و قسم الارض قطعا متجاورات، و خلق فيها جنات من اعناب و نخيل و زرع، تسقى بماء واحد. و هو الذي يحيى الموتى. و عجب قول المنكرين:

اذا كنا ترابا ائنا لفي خلق جديد

الى ان تصل الى الآية السابعة:

و يقول الذين كفروا لو لا انزل عليه آية من ربه انما انت منذر (اي: تنذر الناس من الشرك و الكفر و من العواقب الوخيمة للمعاصي و الذنوب). و لكل قوم هاد.

و يلاحظ هنا ان الكفار لا يقرون بالقرآن الكريم بوصفه معجزة و قد نزل بالحق، و هو معجزة حقا، فكانوا يبحثون عن معجزة اخرى من الامور الخارقة للعادة. و يجيبهم النبي الكريم بقوله: ان الاتيان بمعجزات اخرى خارقة للعادة كما تشتهون (و كما تريدون ان تلزموني بها من قبيل: تبديل الجبل ذهباً، او اجراء نهر من الذهب المذاب، او تبديل هذا البستان بستانا من الجواهر و اللآلي، او احياء الموتى، او نزول ملك من السماء تزونه، او نزول كتاب سماوي تلمسونه بايديكم، كل هذه الاشياء التي تطلبونها مضافا الى انها غير صحيحة، فهي تستلزم التجسيم، و حلول الذات الالهية في مكان معين. ان هذا اللون من المعجزات المتوالية لا يصب في مصلحة الانسان. هذا مع ان معجزات قد صدرت عن جميع الانبياء، بيد انها لم تكن بشكل تتعطل فيه السنن الكونية دائما، و لم تكن بحيث يشغل الانبياء افكارهم تبعا لأراء الناس و افكارهم، فيأتون لهم بمعجزة متى شاءوا) و قد جئتكم نذيرا لكم من الشرك و الكفر و الاعمال القبيحة، و هذه هي رسالتي و مهمتي.

و لا بد للنبي هنا ان يقول لهم بان معجزته الابدية العلمية التي لا سبيل الى انكارها هي القرآن الذي يدعو الناس من منظار العقل و العلم و يتحداهم به، و يطلب من الجن و الانس صراحة ان يجتمعوا متظاهرين للالتيان بمثله، و يدعو الناس جميعهم الى معارضته و لو بعشر سور او بسورة واحدة. مضافا الى ذلك فان الآيات نفسها معجزة بأسلوبها العجيب و منطقها السليم المشتمل على الحقائق و اللطائف و القوانين الانسانية الفطرية التي تريد مصلحة البشرية. و هي معجزة بنائها العالي الى العدل و التقوى و عمل الخير و الدعوة الى الايثار و الانفاق و غيرهما... كلها معجزة بنظمها الرائع و تلاحمها كحلقات السلسلة بعضها مع بعض. و ان ربه هو الذي ارسل هذه الآيات. و اعلن فيها عن رسالته، و اشهد عليها و صرح بها بوصفها معجزة عقلية و معنوية في اعلى درجات الاعجاز... بيد ان

رسول الله لم يجب الكفار بهذا، و تركه لفرصة اخرى، ثم ينشغل مرة اخرى بوصف الله، فانه يعلم ما تحمل كل انثى، و يعلم الغيب و الشهود و يعلم من اسر القول و من جهر به بنحو سوي و انه هو الذى خلق البرق في السماء و انشا السحاب الثقال، و انه هو الذى يسبح الرعد بحمده و الملائكة من خيفته.ثم يبين بعد ذلك ان الله دعوة الحق، و ان السعادة نصيب الذين يستجيبون لها، و ان من في السماوات و الارض يسجدون لله و ان المشركين الذين هم من خلقه و جعلوا له شركاء في ضلال، و هكذا يواصل كلامه حتى يصل الى الآية التاسعة عشرة:

ا فمن يعلم انما انزل اليك من ربك الحق كمن هو اعمى انما يتذكر اولو الالباب.

و هذه الآية، في الوقت الذي ترمي الى دحض كلام المشركين و الكفار، فانها ناظرة الى الآية الاولى في السورة، و قد وردت للتاكيد على احقية الكتاب، و جاءت لتحكم على جميع الآيات الواقعة بينهما المبينة عظمة الله و قدرته، بل و المبينة قرآنه نفسه، و هي حق لا ريب فيه، و ان المنكر لها اعمى.ثم وصفت اولي الالباب الذين استجابوا للقرآن.فالتبانهم يوفون بعهد الله، و لا ينقضون الميثاق، و يصلون ما امر الله به ان يوصل، و يخشون ربهم، و يخافون سوء الحساب، و يقيمون الصلاة و ينفقون اموالهم سرا و علانية، و هكذا تستمر على هذا النسق حتى تبدأ الآية السابعة و العشرون:

و يقول الذين كفروا لو لا انزل عليه آية من ربه قل ان الله يضل من يشاء و يهدى اليه من اناب. و تبين الآية هنا للمرة الثانية اعتراض الكفار بسبب عدم نزول معجزة خارقة للعادة من ربه، و تشعر انهم ثابتون على كلامهم، و انهم لا يعتبرون القرآن معجزة، و يتلمسون معجزة اخرى.و نجد النبي هنا ايضا لا يتحداهم في جوابه بالقرآن الذي هو اعلى المعجزات و اكبرها، و يرجي ذلك مع شهادة الله على رسالته لفرصة اخرى.و يقول فقط: ان الهداية و الضلالة بيد الله، فمن سلم لله و رجع اليه قاشعا غمائم الجهل عن عقله و قلبه فسيهديه الله، و من لم يكن كذلك و سار في طريق الضلال، فسيضله الله.و بعد ذلك تبدأ الآيات بوصف العباد الذين يرجعون الى ربهم، و يسرون على طريق الحق و هم الذين: تطمئن قلوبهم بذكر الله.اما الذين لم تستسلم قلوبهم لله، فلا جدوى لهم في المعجزة ايضا، فما لم ينقاد القلب للحق، فانه يؤول جميع المعجزات و يفسرها على انها سحر و كذب. يقول تعالى في الآية الحادية و الثلاثين:

و لو ان قرءانا سيرت به الجبال او قطعتبه الارض او كلم به الموتى بل الله الامر جميعا افلم يائس الذين ءامنوا ان لو يشاء الله لهدى الناس جميعا و لا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة او تحل قريبا من دارهم حتى ياتى وعد الله ان الله لا يخلف الميعاد

تبين هذه الآيات بشكل واضح ان عدم قبول القرآن نابع عن عدم تطويع القلب لقبول الحق و الانقياد للواقع، و ان لم يؤمنوا بهذا القرآن الذي هو اعظم و ارقى معجزة، فباي معجزة اخرى يؤمنون؟ بعد ذلك تنتقل السورة فتقدم لنا شرحا عن الامم الماضية التي لم تؤمن بانبيائها من وحي العناد و الغطرسة.و تتحدث عن المؤمنين الذين يدخلون الجنة بسبب ادعائهم للحق، و تنطرق الى الانبياء الذين جاءوا بالمعجزة، و الامم التي تعاملت معهم من منطلق المكر و الخديعة، و تستمر السورة حتى تصل الى آخر آية فيها، و هي قوله تعالى:

و يقول الذين كفروا لست مرسلا قل كفى بالله شهيدا بيني و بينكم و من عنده علم الكتب.  
يلاحظ هنا ان الكفار لما انكروا القرآن، و هو اعظم معجزة، و طلبوا من النبي معجزات اخرى فلم  
يستجب لهم، انكروا اصل النبوة نهائيا و كانوا حتى تلك اللحظة لم ينكروها بل كانوا وراء معجزات  
اخرى، و لما خاب املهم من تلك المعجزة، انكروا النبوة انكارا تاما. اما النبي فان جوابه المتكرر الذي  
ينبغي الاتيان به في تينك المرحلتين حول احقية القرآن و اعجازه، و الاتيان بشاهد على رسالته، فقد  
جاء هنا فقال: ايها الكفار، نزل علي هذا القرآن و هو اعظم معجزة، و قد شهد الله فيه عذرسلاتي، و  
شهد الذي عنده علم القرآن على نبوتي.

في ضوء ذلك فان شهادة الله لا تمثل ارجاعا الى الغيب و الى امر مجهول، و هي ليست دعوى  
بدون برهان، لان شهادة الله في القرآن و شهادة العالم بالكتاب امر مشهود و معلوم، و هي واضحة  
عند الكفار، و الدليل على صحة هذه الدعوى هو اعجاز القرآن، و هو ضروري. لذلك فان هذه الآية  
المباركة ناظرة الى السورة كلها و فيها جواب على جميع اعتراضات المشركين و الكافرين، و هي ناظرة  
الى الآية الاولى، و الآية التاسعة عشرة التي تثبت احقية الكتاب، و ينتظم صدرها و وسطها و ذيلها  
بعضه مع بعض مع حسن الافتتاح و حسن الاختتام، بحيث لو رفعنا هذه الآية من السورة، فكانما  
هناك نقص فيها.

و الآن اذ فرغنا من الحديث عن السورة من خلال النظرة الاجمالية التي القيناها عليها، ناتي الى  
تفسير الآية المشار اليها:

قل كفى بالله شهيدا بيني و بينكم و من عنده علم الكتب.

فالقصد من شهادة الله على رسالة رسول الله هو اداء الشهادة، كما جاء في قوله:

انك لمن المرسلين على صراط مستقيم.

و كما ورد في بقية الآيات:

يايها الرسول و يايها النبي،

او سائر العناوين الاخرى نحو:

محمد رسول الله.

هو الذي ارسل رسوله بالهدى و دين الحق.

و اطيعوا الله و رسوله.

و لله العزة و لرسوله و للمؤمنين.

و ما محمد الا رسول.

و الله يعلم انك لرسوله.

يايها الذين ءامنوا اتقوا الله و ءامنوا برسوله.

و مثل هذه الآيات لكثيرة في القرآن. و اداء الشهادة يتحقق بهذه الآيات في القرآن.

يقول الفخر الرازي: المراد من تلك الشهادة هو انه تعالى اظهر المعجزات الدالة على كونه صادقا

في ادعاء الرسالة. [و هذه المرتبة شهادة فعلية لا قولية] و هذا اعلى مراتب الشهادة. (4)



لكن هذا الكلام غير صحيح لان النبي لم يقم بالمعجزات و خوارق العادات التي طلبها الكفار منه.فلا يبقى الا القرآن و حسب.و ما هي الضرورة ان نعتبر نزول القرآن نفسه في هذه الحالة هو شهادة الله من الناحية العملية، بل ان الشهادة التي معنى حقيقتها الشهادة القولية كثيرة في القرآن فيما يخص رسالة الرسول الاكرم. (5)

مضافا الى ذلك فان كلام الفخر الرازي القائل بان الشهادة الفعلية اعلى و اقوى من الشهادة القولية كلام عار عن الحقيقة.

و اما ما قاله البعض من ان المقصود هنا هو تحمل الشهادة من قبل الله لا ادائها. فهذا احتمال خطأ بعيد عن الصواب ايضا، فماذا يجني الكفار من تحمل شهادة الله الذي لا يرى، و ماذا ستثمر لهم هذه الشهادة؟ و كيف ستؤتي هذه الشهادة اكلها لهم؟ و في مثل هذه الحالة يكون الامر ارجاعا و احالة الى الغيب، فيسقط الكلام من درجة اعتباره و شأنه لانه سوف لن يبقى طريق لاثباته عند الكفار المنكرين.

و اما القصد من الذي عنده علم الكتب.فقد قال البعض انه هو الله نفسه، و نسب الفخر الرازي هذا القول الى الحسن [البصري]، و سعيد بن جبير، و الزجاج. (6)

و نقل الزمخشري، (7) و الفخر الرازي (8) عن الحسن البصري انه قال: لا و الله ما يعني الا الله.و قال السيوطي: اخرج ابن جرير و ابن منذر، و ابن حاتم عن مجاهد انه قال: هو الله (9) عز و جل. و هذا الاحتمال غير صحيح، لانه اولاً: خلاف ظاهر العطف الذي يدل على المغايرة.و ثانياً: فيه عطف الصفة على الذات، و هو فاسد.و كما قال الفخر الرازي: لا يصح ان نقول: شهد بهذا زيد و الفقيه.و نحن نريد من الفقيه زيدا نفسه، بل نقول: شهد بهذا زيد الفقيه. (10)

و صرح العلامة الطباطبائي بهذا المعنى فقال: لذلك ترى الزمخشري اول كلام الحسن البصري و بدل الجملة الاولى بجملة و صفة فقال: «كفى بالذي يستحق العبادة و بالذي يعلم علم ما في اللوح المحفوظ الا هو شهيدا بيني و بينكم». (11)

فبدل لفظ الجلالة «الله» الذي يدل على الذات بلفظ الذي يستحق العبادة و هو جملة و صفة. (12) و من الطبيعي ان الزمخشري هو صاحب هذا التوجيه و ذلك لكييرر رداءة هذا الكلام و يلتمس وجهها لتفسير الحسن البصري. لكن ينبغي ان نعلم بان تبديل اللفظ بلفظ آخر له معنى صحيح لا يوجب صحة اللفظ الاول، و لما كان اللفظ الاول الدال على الذات واردا في القرآن المجيد فان عطف الصفة عليه قبيح.مضافا الى ذلك، ما قلناه سابقا من ان المقصود بشهادة الله على رسالة النبي، الآيات القرآنية الواردة التي تصدق رسالته، ففي مثل هذه الحالة فان من المناسب ان تنسب تلك الآيات الى الذات المقدسة الجامعة لصفات الكمال كلها، لا بالمعنى الوصفي، لان شهادة الذات الالهية اكبر من جميع الشهادات الاخرى.

قال سبحانه:

قل اي شيء اكبر شهدة قل الله شهيد بيني و بينكم. (13)

و ما قاله الزجاج من انه لا يصح ان يستشهد الله بغيره في صدق حكمه، لا يتم لانه كما قال الفخر الرازي: كيف يجوز ان يقسم الله بالتين و الزيتون لاثبات صدق كلامه و لا يجوز ان يستشهد بالذي عنده علم الكتاب؟! (14)

الاحتمال الثاني هو ان المراد من الكتاب التوراة و الانجيل، و المراد من الذي عنده علم الكتاب هم علماء اليهود و النصارى، و على هذا الاساس يقول السيوطي: روى ابن جرير عن طريق العوفي، عن ابن عباس انه سئل: و من عنده علم الكتب؟ قال: هم اهل الكتاب من اليهود و النصارى. (15) و ذلك لان اليهود و النصارى قرأوا في التوراة و الانجيل علائم النبي الذي ياتي في آخر الزمان، و عندهم بما بشر به الانبياء.

و هذا الاحتمال غير صحيح ايضا لان الآية المباركة ذكرت شهادة العالم بالكتاب لا مجرد العلم. و هذه السورة - كما ذكروا - نزلت على النبي في مكة، و لم يؤمن احد من علماء اليهود و النصارى يومئذ، و لم يشهد برسالته. و كان كفاح النبي و دعوته في مكة مع مشركي قريش فقط، و في هذه الحالة، فلا معنى لان يحتج رسول الله في رسالته بشهادة شخص لم يشهد للرسالة بشيء.

و قال البعض ان المراد بالشهادة هنا تحمل الشهادة لا ادائها، و تحمل الشهادة لا يستلزم ان يكون الشاهد مؤمنا عند الشهادة، اي عند تحملها. لذلك فان المراد بمن عنده علم الكتاب هم علماء اليهود و النصارى الذين تحملوا هذه الشهادة وفقا للتوراة و الانجيل و ان لم يؤمنوا حين نزول الآية. (16)

و هذا الاحتمال غير صائب ايضا، لان مرجع احتجاج النبي على مشركي قريش في هذه الحالة هو علم علماء اهل الكتاب، و ان لم يؤمنوا حينئذ و لم يعترفوا برسالته، فكيف تصح شهادة من لا يؤمن بالرسالة و لا يعترف بها! و لو كان هذا المعنى مقبولا، لاحتج النبي بعلم المشركين انفسهم، لان اعجاز القرآن كان ثابتا عندهم و الحجة كانت تامة عليهم، اذا كان لا بد له ان يستشهدهم على رسالته، فلماذا عدل الى تحمل شهادة اهل الكتاب؟ هذا مع ان المشركين كانوا شركاء اهل الكتاب في الكفر و انكار الرسالة. مضافا الى ذلك، فاننا قلنا سابقا ان المراد من الشهادة ادائها لا تحملها، لان تحملها من الله عز و جل لم يكن ليقطع عند المشركين، و تكون فيه احالة على الغيب.

الاحتمال الثالث هو ان المراد بالكتاب: اللوح المحفوظ، و العالم به: جبرئيل. يقول السيوطي: اخرج ابن ابي حاتم عن سعيد بن جبير انه قال في تفسير هذه الآية:

من عنده علم الكتب جبريل. (17)

و هذا الاحتمال غير صحيح ايضا، لان المشركين لا يقرون بجبرئيل و ما فائدة شهادة لهم و هي لا تمثل الا وعدا بالغيب و فرارا من الاحتجاج في قاموسهم؟ و في هذه الحالة، لو استشهد النبي على رسالته بجميع ملائكة الله غير جبرئيل، مثل: ميكائيل، و اسرافيل، و عزرائيل، و بقية ملائكة الملا الاعلى، لم يكن للمشركين فيه فائدة؟ و لا قطعاً للعدو.

الاحتمال الرابع هو ان المراد من اهل الكتاب القوم الذين آمنوا و شهدوا برسالة النبي من علماء اليهود و النصارى كعبد الله بن سلام و سلمان الفارسي، و الجارود، و تميم الداري (18)

و يقول السيوطي: اخرج عبد الرزاق، و ابن جرير، و ابن منذر و ابن ابي حاتم عن قتادة انه قال:

كان من اهل الكتاب قوم يشهدون بالحق و يعرفونه، منهم: عبد الله بن سلام، و الجارود، و تميم الداري، و سلمان الفارسي. (19)

و هذا باطل ايضا لان هؤلاء جميعهم اسلموا في المدينة و الآية المباركة، قل كفى بالله شهيدا بيني و بينكم و من عنده علم الكتب نزلت في مكة. و لا معنى لاجتماع رسول الله على مشركي قريش في مكة، مستشهدا على رسالته اشخاصا سوف يسلمون في المدينة.

و قال بعضهم: بان كون الآية مكية لا ينافي ان يكون الكلام اخباراعما سيشهد به و فيه ان ذلك يوجب رداءة الحجة و سقوطها. فاي معنى لان يحتج على قوم يقولون: لست مرسلًا. فيقال: صدقوا به اليوم لان بعض علماء اهل الكتاب سوف يشهدون به. (20) و هذا ضعيف و واوه للغاية.

الاحتمال الخامس: ان الذي عنده علم الكتاب هو عبد الله بن سلام تخصيصا، و هو من علماء اليهود و اسلم في المدينة عند هجرة النبي اليها. يقول السيوطي: اخرج ابن سعد، و ابن ابي شيبة، و ابن جرير، و ابن منذر عن مجاهد انه كان يقرأ: «و من عنده علم الكتب»، قال: هو عبد الله بن سلام. (21)

و للقائلين بانه عبد الله بن سلام جهد بليغ في الدفاع عنه، بيد ان هذا القول باطل ايضا، لانه كما قلنا في رد الاحتمال الرابع، فان سورة الرعد مكية، و عبد الله بن سلام اسلم في المدينة، فالاستشهاد به امام مشركي مكة اسقاط للحجة و فرار من ميدان الاحتجاج، و حاشا لله و لرسوله. قال البعض: ان مكية السورة لا تنافي كون بعض آياتها مدنية. و يمكن ان تكون جميع آياتها مكية الا هذه الآية فانها نزلت في المدينة في عبد الله بن سلام.

و الجواب هو ان مجرد الاحتمال لا يثبت مدنية آية في سورة مكية ما لم يكن هناك نقل صحيح قابل للتعويل عليه. و هنا مضافا الى عدم وجود مثل هذا النقل، فان الجمهور نصوا على ان هذه الآية مكية كما نقل عن البحر [المحيط للاندلسي]. (22) يقول السيوطي: اخرج سعيد بن منصور، و ابن جرير، و ابن منذر و ابن ابي حاتم، و النحاس في كتاب «الناسخ» عن سعيد بن جبير انه سئل عن قوله: «و من عنده علم الكتب» اهو عبد الله بن سلام رضي الله عنه؟ قال: و كيف و هذه السورة مكية؟ ! (23)

و يقول ابن عبد البر في ترجمة عبد الله بن سلام: و قد قيل في قول الله عز و جل: «و من عنده علم الكتب» هو عبد الله بن سلام، و انكر ذلك عكرمة و الحسن و قالوا: كيف يكون ذلك و السورة مكية و اسلم عبد الله بن سلام كان بعد. (24)

و يقول السيوطي: اخرج ابن منذر عن الشعبي انه قال: ما نزل في عبد الله بن سلام رضي الله عنه شيء من القرآن. (25)

و يقول ايضا: اخرج عبد الرزاق، و ابن منذر عن الزهري انه قال: كان عمر بن الخطاب شديدا على رسول الله صلى الله عليه [و آله] و سلم فانطلق يوما حتى دنا من رسول الله صلى الله عليه [و آله] و سلم و هو يصلي فسمعه و هو يقرأ: «و ما كنت تتلو من قبله من كتاب و لا تخطه بيمينك اذا

لارتاب المبطلون (و حملوا نبوتك على العلوم المكتسبة و الحصولية) .حتى بلغ - الظالمون» و سمعه  
و هو يقرأ: «و يقول الذين كفروا لست مرسلنا الى قوله - علم الكتب» ، فانتظره حتى سلم فاسرع في  
اثره فاسلم. (26)

## الدرس الرابع و الخمسون الى الدرس السادس و الخمسين

تفسير الآية: ا فمن كان على بينة من ربه و يتلوه شاهد منه...

بسم الله الرحمن الرحيم

و صلى الله على محمد و آله الطاهرين و لعنة الله على اعدائهم اجمعين من الآن الى قيام يوم الدين و لا حول و لا قوة الا بالله العلي العظيم  
قال الله الحكيم في كتابه الكريم:

ا فمن كان على بينة من ربه و يتلوه شاهد منه و من قبله كتب موسى اماما و رحمة (كمن ليس على هذه الصفة) اولئك يؤمنون به و من يكفر به من الاحزاب فالنار موعده فلا تك في مرية منه انه الحق من ربك و لكن اكثر الناس لا يؤمنون. (1)

ان المقصود من صاحب البينة في هذه الآية المباركة هو الرسول الاكرم صلى الله عليه و آله و سلم و الشاهد هو امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام. و الاحاديث الماثورة عن الخاصة و العامة في هذا الحقل جمة. بل ان الاحاديث التي نقلها العامة باسنادهم تفوق احاديث الخاصة. فقد ذكر العلامة المحدث البحراني ثلاثة و عشرين حديثا عن طريق العامة، و احد عشر حديثا عن طريق الخاصة. (2)

و من الضروري هنا ان نبدا ببحث تفسير للآية قبل الخوض في الاحاديث الواردة. هذه الآية في سورة هود، و سورة هود من السور المكية. تبدا السورة بقوله تعالى:  
الر كتب احكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير.

اذ نتحدث هنا عن قرآن محكم، و قرآن مفصل، او بكلمة بديلة، قرآن له حقيقة واحدة في العوالم العلوية، و له سور و آيات و احكام و معارف و قضايا مستقلة بعضها عن بعض في هذا العالم. و نتحدث الآيات التي تتلو تلك الآية عن الدعوة الى عبادة الله، و التوبة اليه، و تذكر بان المرجع الى الله، و تاتي الآية الخامسة لتتحدث عن الذين يثنون صدورهم من كفار قريش ليعرضوا عن ذلك. و في الآيات التي تتلوها حديث عن ارادة الله و قيوميته و خالقيته، و عن المعاد و بعث الناس من بعد الموت، و انكار المنكرين. و احوال المؤمنين في الصمود و الاستقامة، و حالات غيرهم في التلون، و الارتياح النفسي، و الياس، و كفران النعمة، و الفخر، و الفرح الذي ليس في موضعه.

ثم نصل الى الآية الحادية عشرة التي تخاطب النبي فنقول: فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك و ضائق به صدرك ان يقولوا لو لا انزل عليه كنز او جاء معه ملك (فلا تحزن من هذه الكلمات) انما انت نذير (من عواقب الشرك و الظلم الوحيمة) و الله على كل شيء وكيل. و نتحدث الآية التي تتبعها عما يقوله المشركون بان محمدا صلى الله عليه و آله و سلم قد افترى هذا القرآن: ام يقولون افتراه قل فاتوا بعشر سور مثله مفتريات و ادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين. يا رسول الله فان لم

يستجيبوا لكم فاعلموا انما انزل بعلم الله و ان لا اله الا هو فهل انتم مسلمون؟  
ثم تتلو ذلك آيتان تتحدثان عن الثمار التي يقطفها من يريد الحياة الدنيا، و بعدهما نلتقي قوله تعالى:

ا فمن كان على بينة

(و بصيرة باطنية الهية)

من ربه و يتلوه شاهد منه و من قبله كتب موسى اماما و رحمة

(مصدقا لدعواه و شبيها له في بيانه و دعوته، كمن ليس كذلك؟)

اولئك يؤمنون به

و لما كانت الآيات السابقة قد بينت انكار المشركين لاحقية القرآن فان هذه الآية ناظرة الى تلك الآيات، و هي في مقام الاستدلال و اقامة البرهان على لزوم الايمان بالقرآن المجيد، و الاستفهام هنا انكاري. و ينبغي ان نرى هنا ما هو القصد من البينة، و ما معنى يتلو، و شاهد.

و قد جاءت البينة في بعض الآيات القرآنية بمعنى الحجة كقوله تعالى:

ليهلك من هلك عن بينة، (3)

و جاءت في بعضها الآخر بمعنى الآية و المعجزة كقوله تعالى:

قد جاءتكم بينة من ربكم هذه ناقة الله لكم. (4)

و وردت في آيات اخرى بمعنى البصيرة الخاصة و النور المخصوص الذي منحه الله الانبياء كما جاء في قوله تعالى على لسان نبيه نوح عليه السلام:

يا قوم ارايتم ان كنت على بينة من ربي و ءاتاني رحمة من عنده. (5)

و ذكرت في آيات من الكتاب العزيز على انها مطلق البصيرة الالهية و النور الباطني، كما في قوله

تعالى:

ا فمن كان على بينة من ربه كمن زين له سوء عمله و اتبعوا اهوائهم. (6)

و هذا المعنى هو الذي تقصده الآية التي هي مدار بحثنا، لانه تعالى يقول بعدها بصيغة الجمع:

اولئك يؤمنون به.

و الواضح هو ان جميع المؤمنين ليست لهم بصيرة النبوة الخاصة و ان كان القصد من صاحب

البينة هو رسول الله وفقا لموضوعها، بيد انه لما كان هذا القسم من الآية تمهيدا لما يليه، و هو قوله

تعالى:

فلا تك في مرية منه،

فالقصد من البينة، اذن، هي تلك البصيرة الالهية المطلقة التي افاض الله بها على نبيه الكريم صلى

الله عليه و آله و سلم. و ليس القصد منها هو القرآن، لانها لا تتسجم مع ما يليها، و هو قوله تعالى:

فلا تك في مرية.

و يستفاد مما تقدم انه لا يصح كلام البعض في ان صاحب البينة المقصود في هذه الآية هو رسول

الله خاصة على وجه العموم، لترتب قوله في صيغة الجمع اولئك يؤمنون به على ذلك، و قد اخذ هذا

اللفظ من مفاد قوله:

من كان على بينة من ربه.

و كذلك لا يصح قول بعضهم ان المراد هنا اصحاب رسول الله، لان النبي نفسه له بينة. فتطبق الآية عليه على وجه الحصر لا على وجه العموم و يريد الله ان يقول له: انت الذي لك بينة الهية و شاهد خارجي و من قبلك كتاب موسى مصدقا لك، ينبغي لك ان تؤمن بالقرآن، و لا يعتربك الشك فيه، و لا يضيق صدرك من قول المشركين الذين طلبوا منك انزال كنز او مجيء ملك، و عليك ان تقوم بالتبليغ و ارشاد الناس بقدم راسخة و ارادة لا تلين.

و ايضا لا يستقيم قول من قال ان المراد بالبينة هنا القرآن او حجة العقل، لان هذه مقدمة الى القرآن و الامر بالتمسك به. اي ان الذي له بصيرة باطنية و نور الهي يؤمن بالقرآن، و انتيا رسولنا الذي لك مثل هذه البينة ايضا لا تشك في القرآن. و لا معنى ان يؤمر من كان عنده القرآن بالايمان به، و يحذر من الشك فيه.

و اما حجة العقل، فلما كانت البينة التي عند النبي اقوى من الحجة العقلية، لذلك لا معنى ان نقصر هذه البينة القائمة في وجود خاتم النبيين على دليل العقل. و اما القصد من كلمة يتلو فانه التتابع لا القراءة و التلاوة لانه من غير الصحيح ان نقول: ان ذلك الشاهد يقرأ النبي او يقرأ نور بصيرته، و قلنا ان البينة هي ليست القرآن حتى تصح تلاوته.

و اما القصد من كلمة شاهد، فالواضح انه اداء الشهادة لا تحملها لان تحملها لا يكون حجة على المشركين بل الحجة عليهم، و بل المفضي الى تقوية الرسول و تاييد بصيرته الالهية و نوره الرباني هو اداء الشهادة، لذلك فان الشاهد هنا هو الذي اقر باحقية رسالة النبي، و دعم رسالته ببصيرته الالهية، و آمن به. لان شهادة الانسان صاحب اليقين و البصيرة تكتسح كل شك و شبهة، و تذهب كل خوف من الوحدة و الوحشة، و لعل الاشخاص الذين يتكون وحدهم في امر او جانب يتضعضون امام المحن الصعبة و الاحداث المؤلمة، على عكس ما لو اعانهم احد في سره و اسندهم و لم يتزكهم وحدهم في الميدان، فان الوحشة تزول و القلب ينشط في مثل هذه الحالة.

و هنا ايضا يقول تعالى حيال تهجم المشركين و مواجهتهم العنيفة: يا ايها النبي ان من كانت له بينة الهية و اعانه شاهد خارجي، فهو يؤمن بالقرآن، و لا يشك و لا يتضعض. و لا ريب ان هذا الشخص هو علي بن ابي طالب الذي اسلم منذ اليوم الاول للنبوّة، و اعان النبي في تحمل اعباء الرسالة، و مواجهة الصعوبات التي كانت تعترض طريقها، و لبي دعوته عند ما امره الله بانذار عشيرته الاقربين في قوله:

و انذر عشيرتک الاقربين. (7)

و قام وحده في حديث العشيرة، و كان مؤازرا و معينا و وزيرا للنبي في جميع المشاكل التي واجهتها النبوة و المصاعب الناجمة عن حمل مهمة الرسالة الثقيلة. و في ضوء ما قيل فان الذي تنطبق عليه الآية علوجه الحصر هو امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام.

و ذكر المفسر ابو الفتوح الرازي كلاما لطيفا في وجه انحصار الشاهد بعلي بن ابي طالب، و دفع

الاحتمالات الاخرى. و لما ذكر في البداية الاحتمالات و الاقوال الواردة في الشاهد، ثم انبرى الى تنفيذها بكلامه العذب، لذلك نذكر ايضا تلك الاقوال و الاحتمالات اولا ثم نذكر كلامه في تنفيذها بعد ذلك. يقول: (8) ليس هناك خلاف بين المفسرين في ان المراد من صاحب البينة هو رسول الله، بل الخلاف قائم بينهم في معنى الشاهد. قال عبد الله، و علقمة، و ابراهيم، و مجاهد، و ابو صالح، و ابو العالية و عكرمة: هو جبرئيل، و قال الحسن البصري، و قتادة: هو لسان رسول الله و قال البعض: وجه رسول الله لان من نظر الى شمائله و سيماه كان يعترف بنبوته و رسالته، و قال الحسين بن الفضل: الشاهد هو القرآن، و نظمه العجيب و اسلوبه الباهر و اعجازه خير شاهد على النبوة، و قال ابن جريج و مجاهد: الشاهد هو الملك الذي كان يحفظ رسول الله و يؤيده و يقويه. و قال بعض آخر: ان الشاهد هو رسول الله نفسه. و هذه الاحتمالات و الاقوال، و ان كانت نسبت الى المفسرين، لكنها تبدو مشوشة و غير مستساغة، لان كل واحد منها يخالف ظاهر الآية:

و يتلوه شاهد منه،

اذ جاءت في هذه الآية ثلاث كلمات: الاولى: يتلوه بمعنى يجيء بعده، و الثانية: شاهد، و الثالثة، منه و يرجع الضمير الى رسول الله، و هو صاحب البينة. و عند ملاحظة هذه الكلمات الثلاث، يظهر خطأ جميع الاحتمالات التي طرحها المفسرون. اما الذي قال: هو جبرئيل، او الملك الموكل برسول الله، فقوله باطل بكلمة منه، لان الملك و جبرئيل ليسا من جنس رسول الله، بل هما من الملائكة، و رسول الله من البشر، و يدل الضمير في منه على ان ذلك الشاهد هو من جنس رسول الله. و اما من قال: انه القرآن، فقوله باطل ايضا بكلمة يتلوه و كلمة منه لان القرآن لا ياتي تاليا للنبي، مضافا الى انه ليس من جنسه. و اما من قال: انه لسان رسول الله، فهو باطل بكلمة يتلوه و كلمة شاهد لان لسان النبي لا يتلوه و لا ياتي بعده، مضافا الى ان لسان الشخص ليس شاهدا على صحة دعواه.

و اما من قال: انه النبي نفسه، فقوله ليس ذا بال ابدأ لانه ينافي الكلمات الواردة يتلوه، و شاهد، و منه و لان رسول الله لا يتلو نفسه، و ليس شاهدا عليها، و ليس منها. و لما كانت هذه الاحتمالات و الاقوال جميعها باطلة، فالمتيقن به ان ذلك الشاهد هو الذي روى فيه المؤلف و المخالف عن رسول الله انه هو المعني بهذه الآية، و هو امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام. و هذا ما ينسجم مع جميع الكلمات الواردة في الآية: يتلوه، شاهد، منه، لانه عليه السلام كان الى جانب رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و كان يتبعه، و كان شاهدا صادقا على نبوته دائما، مضافا الى انه من جنس البشر، بل من رسول الله نفسه. (9)

و اقرب الآيات الى الآية المشار اليها من حيث الدلالة و المعنى هي الآيات الواردة في السورة 46، و هي الاحقاف، و الآيات هي 10، 11 و 12، يقول تعالى:

قل ا رعيتم ان كان من عند الله و كفرتم به و شهد شاهد من بني اسرائيل على مثله فامن و استكبرتم ان الله لا يهدي القوم الظالمين و قال الذين كفروا للذين ءامنوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه و اذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا افك قديم و من قبله كتب موسى اماما و رحمة و هذا كتب مصدق لسانا عربيا لينذر الذين ظلموا و بشرى للمحسنين.



يتبين لنا عند ملاحظة هاتين الطائفتين من الآيات و مقارنتهما انهما:

اولا: ذكرنا القرآن او البينة الالهية التي ينكرها المشركون على سبيل الاستفهام الانكاري.

ثانيا: بيننا التوراة بوصفها كتاب هداية و رحمة للناس، و قد نزلت قبل القرآن ممهدة الطريق لكتاب الله، و هو القرآن المجيد، و القرآن مصدق لها ايضا، مضافا الى ذلك فان القرآن ليس اول كتاب يرفضه المشركون، بل كانت التوراة قبله على هذه الشاكلة ايضا، و آيات القرآن و المواضيع التي يحتويها امتداد لمواضيع التوراة في الاخلاق و الاحكام و المعارف، و مصدقة لها، اذن لا يبدو هناك اي مبرر لاستتكاف اولئك، كما جاء في القرآن قوله تعالى في الآية التاسعة التي تسبق الآيات المذكورة:

قل ما كنتبدا من الرسل.

ثالثا: كما جاء في الآية التي هي مدار بحثنا: و يتلوه شاهد منه، فان المراد هنا هو وصي رسول الله امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام الذي يمثل سند النبوة و الشاهد على رسالة رسول الله، و كذلك في بني اسرائيل، فان وصي موسى هو يوشع بن نون الذي كان سندا لنبوة موسى و شاهدا على رسالته، و هو الذي آمن به، و لذلك يقول جل من قائل: و شهد شاهد من بني اسرائيل على مثله. (10)

و استهداء بالروايات المستفيضة الماثورة عن رسول الله في ان ما وقع على الامم السالفة سيقع ايضا على هذه الامة حذو النعل بالنعل و القذة بالقذة، فان شهادة علي بن ابي طالب عليه السلام على نبوة رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم تضاهي شهادة وصي موسى على نبوته اذن، فالمقايسة بين هاتين الطائفتين من الآيات، اعني: الآيات المشار اليها في سورة هود، و الآيات الواردة في سورة الاحقاف تفيدنا ان الشاهد من بني اسرائيل الذي شهد على صحة ما يشاكل القرآن، و هي التوراة، يماثل الشاهد الذي هو من جنس رسول الله و شهد على صحة نبوته. و الشاهد على كلامنا هو رواية اوردها السيوطي في تفسيره. يقول: اخرج سعيد بن منصور، و ابن جرير، و ابن منذر عن مسروق رضي الله عنه انه قال في قول الله تعالى: و شهد شاهد من بني اسرائيل على مثله، قال: موسى مثل محمد، و التوراة مثل القرآن فأمن هذا بكتابه و نبيه و كفرتم يا اهل مكة.

و العجيب ان اغلب المفسرين - بما فيهم مفسرو الشيعة - ذكروا ان المراد من الشاهد في الآية المشار اليها هو عبد الله بن سلام، و و الفيض الكاشاني، (12) و استاذنا الاعظم العلامة الطباطبائي (13) مد ظله و نقل السيوطي ايضا رواية في هذا الباب، قال: اخرج ابو يعلى، و ابن جرير، و الطبراني، و الحاكم عن عوف بن مالك الاشجعي قال: انطلق النبي صلى الله عليه [و آله] و سلم و انا معه حتى دخلنا على كنيسة اليهود يوم عيدهم، فكرهوا دخولنا عليهم. فقال لهم رسول الله: اروني اثني عشر رجلا منكم يشهدون ان لا اله الا الله و ان محمدا رسول الله يحبط الله عن كل يهودي تحت اديم السماء الغضبالذي عليه، فسكتوا، فما اجابه منهم احد. ثم رد عليهم، فلم يجبه احد، فتلث فلم يجبه احد. فقال: ابيتم فو الله لانا الحاشر، و انا العاقب، و انا المقفى، آمنتم او كذبتم، ثم انصرف و انا معه، حتى كدنا ان نخرج فاذا رجل من خلفه، فقال: كما انتيا محمد. فاقبل، فقال ذلك الرجل: اي رجل

تعلموني فيكم يا معشر اليهود؟

فقالوا: و الله ما نعلم فينا رجلا اعلم بكتاب الله و لا افقه منك و من ابيك و لا من جدك.قال: فاني اشهد بالله انه النبي الذي تجدونه في التوراة و الانجيل.قالوا: كذبت، ثم ردوا عليه و قالوا شرا.فقال رسول الله صلى الله عليه [و آله] و سلم كذبتم، لن يقبل منكم قولكم، فخرجنا و نحن ثلاث: رسول الله، و انا، و ابن سلام.فانزل الله:

قل ارايتم ان كان من عند الله و كفرتم به و شهد شاهد من بني اسرائيل على مثله فامن و استكبرتم ان الله لا يهدى القوم الظلمين.

لكن كما ذكرنا فان الشاهد المشار اليه شخص من بني اسرائيل قد شهد على التوراة في عصر موسى. و هو ما ينطق على وصي موسى، يوشع بن نون. و هذه الآية لا تنطبق على عبد الله بن سلام للأسباب التالية:

اولا: سورة الاحقاف مكية و اسلام عبد الله بن سلام كان في المدينة فلا جدوى من جعل رسول الله شهادة شخص لم يسلم بعد و لم يظهر على مسرح الحياة الاسلامية سندا لنبوته، و شاهدا على احقيته امام مشركي قريش و منكريهم.

ثانيا: تنص الآية المباركة على ان هذا الشاهد قد شهد على مثل القرآن، لا على القرآن نفسه، و المراد بمثل القرآن هنا التوراة، فماذا يجني المشركون من وراء الشهادة على التوراة؟ بينما نجد ان قوله تعالى:

و يتلوه شاهد منه

يفيدنا ان امير المؤمنين شهد على النبوة نفسها. و اما شهادة ذلك الشخص من بني اسرائيل في عصر موسى على نبوته او على التوراة فانها كانت ستؤتي ثمارها، و ستمثل سندا لنبوته.

ثالثا: كان اسلام عبد الله بن سلام في بداية الهجرة الى المدينة و ليس بعد استقرار النبي فيها و يوم عيد اليهود.يقول ابن عبد البر في ترجمة عبد الله بن سلام: عبد الله بن سلام بن الحارث الاسرائيلي ثم الانصاري.يكنى ابا يوسف، و هو من ولد يوسف بن يعقوب صلى الله عليهما و كان حليفا للانصار، يقال كان حليفا للقوافلة (14) و هم) من بني عوف بن الخزرج.وكان اسمه في الجاهلية الحصين. فلما اسلم، سماه رسول الله صلى الله عليه [و آله] و سلم عبد الله.توفي بالمدينة ايام معاوية سنة 43 (هـ)، و هو احد الاحبار.اسلم اذ قدم رسول الله صلى الله عليه [و آله] و سلم المدينة.

قال عبد الله بن سلام: خرجت في جماعة من اهل المدينة للنظر الى رسول الله صلى الله عليه [و آله] و سلم في حين دخوله المدينة، فنظرت اليه و تأملت وجهه، فعلمت انه ليس بوجه كذاب، و كان اول شيء سمعته منه: ايها الناس، افشوا السلام، و اطعموا الطعام، و صلوا الارحام، و صلوا بالليل و الناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام.

رابعا: يدل سياق الآية الكريمة

قل ارايتم ان كان من عند الله و كفرتم به و شهد شاهد من بني اسرائيل على مثله على ان خطاب النبي لم يكن موجها الى بني اسرائيل.

خامسا: ان الانجيل ليس من كتب اليهود، و اليهود لا يقرون به ابا بل هم يفترون على مريم و ينسبون اليها ما لا يليق و يعتبرون عيسى ابنسفاح. فكيف يمكن في هذه الحالة، و وفقا لهذه الرواية، ان يقول عبد الله بن سلام لليهود: اشهد الله ان محمدا هو النبي الذي وجدتموه في التوراة و الانجيل؟! نستنتج مما تقدم ان هذه الرواية مجعولة. ناهيك عن هذا كله فان روايات قد جاءت عن طريق العامة في ان آية واحدة من القرآن لم تنزل في عبد الله بن سلام او في ان هذه الآية لا تخصه. يقول السيوطي: اخرج ابن منذر عن الشعبي انه قال:

ما نزل في عبد الله بن سلام شيء من القرآن. (15)

و يقول ايضا: اخرج عبد الله بن حميد، و ابن منذر عن عكرمة انه قال في الآية: و شهد شاهد من بني اسرائيل على مثله، قال: ليس بعبد الله بن سلام، هذه الآية مكية فيقول من آمن من بني اسرائيل كمن آمن بالنبي صلى الله عليه [و آله] و سلم. (16)

و يقول ايضا: اخرج ابن جرير و ابن ابي حاتم عن مسروق انه قال: قوله: و شهد شاهد من بني اسرئيل على مثله. قال: و الله ما نزلت في عبد الله بن سلام، ما نزلت الا بمكة و انما كان اسلام ابن سلام بالمدينة، و انما و كانت خصومة خاصم بها محمد صلى الله عليه [و آله] و سلم. (17)

نعم. ان نزول الآية في عبد الله بن سلام مستبعد الى حد اضطر فيه البعض ان يقول بان الآية مكية و ان اسلام عبد الله بن سلام كان بالمدينة و ذلك من اجل تصحيح هذا الموضوع. يقول السيوطي: اخرج الحسن بن مسلم انه نزلت هذه الآية بمكة و عبد الله بن سلام بالمدينة. (18)

و يقول ايضا: اخرج ابن سعد، و ابن عساكر عن الحسن البصري انه قال: نزلتحم و عبد الله بالمدينة مسلم. (19)

و هاتان الروايتان غير صحيحتين ايضا لاننا قلنا: ان عبد الله بن سلام لم يكن قد اسلم بعد عند نزول سورة الاحقاف. و كما قلنا في تفسير الآية: و من عنده علم الكتب،

فان عبد الله بن سلام، و ابنه، و حفيده دون غيرهم ينسبون هذه الآية الى انفسهم، و لم ينسبها شخص آخر اليهم.

بيد انه لما كان نزول هذه الآية في امير المؤمنين علي عليه السلام فان علماء الشيعة رضوان الله عليهم اصرروا على انها لم تنزل في عبد الله بن سلام، و برهنوا على ذلك. و اما الآية: و شهد شاهد...

فلما لم تكن فيه عليه السلام. لذلك لم يعيروا لها اهتماما، و مروا عليها دون تحر دقيق حتى قال البعض من اهل السنة، ان علماء الشيعة ايضا قالوا بنزولها في عبد الله بن سلام، مع انها نزلت في يوشع بن نون وصي موسى عدل علي بن ابي طالب وصي محمد صلى الله عليه [و آله] و سلم. و لا فرق في امكان نزول الآيتين المذكورتين:

و من عنده علم الكتب، و شهد شاهد...

في عبد الله بن سلام و عدم امكان نزولهما فيه. فكلتاهما مكيتان. فاذا كان جائزا في احدهما فهو

جائز في الاخرى، و العكس صحيح.

مضافا الى ذلك ما هو وزن عبد الله بن سلام الذي يعتبره البعض مغمورا مجهول الحال، و هو لم يبايع امير المؤمنين عليا بالخلافة بعد عثمان، حتى يهتم رسول الله بشهادته امام المشركين، و يجعله قرينا لنبوته و للتوراة التي فيها هدى و رحمة للناس؟ اجل، هذا بحث تناولنا فيه الآية الكريمة:

و شهد شاهد من بنى اسرائيل على مثله،

فلنعرج الآن على الآية التي هي مدار بحثنا:

و يتلوه شاهد منه.

وردت حول هذه الآية روايات جمة عن طريق الشيعة و السنة، و هي تنص على ان عليا امير المؤمنين عليه السلام هو المقصود بهذه الآية. و فيما يلي عدد منها اثر بمضامين متنوعة، نذكرها هنا كمثال على ما نقول:

الاولى: طائفة من الروايات نقلت عن عبد الله بن عباس. قال الموفق بن احمد الخوارزمي في قوله تعالى:

ا فمن كان على بينة من ربه و يتلوه شاهد منه.

قال ابن عباس: هو علي يشهد للنبي و هو منه. (20)

و نقل العلامة الطباطبائي هذه الرواية ايضا من «تفسير البرهان» عن الخوارزمي. (21)

و نقل ابراهيم بن محمد الحموي، و هو من فضلاء العامة، في «فرائد السمطين» بسلسلة سنده المتصل عن ابن عباس انه قال:

ا فمن كان على بينة

رسول الله صلى الله عليه [و آله] و سلم «و يتلوه شاهد منه» علي عليه السلام خاصة. (22)

و ذكر الحاكم الحسكاني هذه الرواية ايضا و بالعبارة نفسها. (23)

و ذكرها الثعلبي بالعبارة ذاتها في تفسيره عن ابن عباس. (24)

و نقلها العلامة الطباطبائي عن الثعلبي، (25) و كذلك ذكرها علي بن عيسى الاربلي في «كشف

الغمة» عن ابن عباس. (26)

الثانية: روايات نقلت عن انس بن مالك. روى حماد بن سلمة عن ثابت، عن انس انه قال:

ا فمن كان على بينة من ربه

قال: هو رسول الله صلى الله عليه [و آله] و سلم

و يتلوه شاهد منه

هو علي بن ابي طالب عليه السلام. كان و الله لسان رسول الله. (27)

و نقل الحاكم الحسكاني هذه الرسالة ايضا عن انس بسلسلة سنده المتصل، الا انه اضاف اليها

جملة في آخرها: كان و الله لسان رسول الله الى اهل مكة في نقض عهدهم مع رسول الله صلى الله

عليه [و آله] و سلم. (28)

الثالثة: روايات اثرت عن رسول الله صلى الله عليه [و آله] و سلم نفسه.يقول ابن المغازلي الشافعي: قوله تعالى:

ا فمن كان على بينة من ربه و يتلوه شاهد منه.

قال رسول الله: انا على بينة من ربه و علي الشاهد. (29) و نقل الحاكم الحسكاني هذه الرواية عن رسول الله نفسه بسنتين: احدهما عن محمد بن احمد بن محمد المفيد. (30) و الآخر عن ابن عباس. (31) و ذكر السيوطي هذا الحديث ايضا عن رسول الله مع اختلاف يسير في اللفظ. (32)

الرابعة: روايات جاءت عن الامام محمد الباقر عليه السلام.فقد روى علي بن ابراهيم في تفسيره باسناده المتصل عن ابي بصير، و الفضيل، قالوا: عن ابي جعفر عليه السلام قال: انما نزلت: افمن كان على بينة من ربه يعني رسول الله صلى الله عليه [و آله] و سلم و يتلوه شاهد منه اماما و رحمة. (33) و صفة الامام و الرحمة في الآية تخص عليا لا التوراة، و لكن حصل تقديم و تاخير لكي توصف التوراة.

الخامسة: رواية ماثورة عن الامام موسى بن جعفر عليهما السلام.فقد روى محمد بن يعقوب الكليني بسنده المتصل عن احمد بن عمر الحلال انه قال: سألت ابا الحسن عليه السلام عن قول الله عز و جل:

ا فمن كان على بينة من ربه و يتلوه شاهد منه

فقال: امير المؤمنين عليه السلام الشاهد من رسول الله على بينة من ربه. (34)

السادسة: رواية جاءت عن قيس بن سعد بن عبادة.يقول سليم بن قيس الهلالي الكوفي: (35) انقل هذا الحديث عن قيس بن سعد بن عبادة في مشاجرة بينه و بين معاوية.قال قيس: لقد قبض رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم فاجتمعت الانصار الى ابي بكر، فقال: تباع سعدا (ابن عبادة) ؟ فجاءت قريش فخاصموا بحجة علي و اهل بيته و خاصمونا بحقه و قرابته.فما يعدوا ففقد قريش ان يكونوا ظلموا الانصار و آل محمد.و لعمرى ما لاحد من الانصار و لا من قريش، و لا من العرب، و لا من العجمي الخلافة حق و لا نصيب مع علي بن ابي طالب و ولده من بعده.فغضب معاوية، و قال: يا بن سعد عن اخذت هذا، و عن ترويه، و ممن سمعته؟ ابوك حدثك بهذا و عنه اخذته؟ فقال له قيس بن سعد: اخذته عن هو خير من ابي و اعظم حقا من ابي.قال: من هو؟ قال: علي بن ابي طالب،

اخذته من عالم هذه الامة و ربانيها و صديقها و فاروقها الذي انزل الله فيه ما انزل:

قل كفى بالله شهيدا بيني و بينكم و من عنده علم الكتب.

فلم تكن اية نزلت فيه الا نكرها.

فقال معاوية: ان صديقها و فاروقها عمر، و الذي عنده علم الكتاب عبد الله بن سلام.قال قيس:

احق بهذه الاشياء و اولى بها الذي انزل الله فيه:

ا فمن كان على بينة من ربه و يتلوه شاهد منه.

الذي انزل الله فيه:

انما انت منذر و لكل قوم هاد

و الذي نصبه رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم.يوم غدير خم فقال: من كنت اولى به من نفسه، فعلي اولى به من نفسه، و قال في غزوة تبوك: انت مني بمنزلة هارون من موسى الا انه لا نبي بعدي. (36)

## الدرس السابع و الخمسون الى الدرس الستين

تفسير الآية: و يقول الذين كفروا لو لا انزل عليه آية من ربه انما انت منذر و لكل قوم هاد

بسم الله الرحمن الرحيم

و صلى الله على محمد و آله الطاهرين

و لعنة الله على اعدائهم اجمعين من الآن الى قيام يوم الدين و لا حول و لا قوة الا بالله العلي

العظيم

قال الله الحكيم في كتابه الكريم:

و يقول الذين كفروا لو لا انزل عليه آية من ربه انما انت منذر و لكل قوم هاد. (1)

اثرث عن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم احاديث و روايات كثيرة عن طريق الشيعة و السنة، سواء في كتب الحديث او في كتب التفسير، تصرح ان المقصود بالهادي في هذه الآية الكريمة هو امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام. و يجدر بنا ان نتطرق الى تفسير هذه الآية بنحو مجمل، قبل الخوض في هذه الاحاديث و الروايات. فقد نقل المؤرخون ان مشركي قريش و كفارهم طالبوا رسول الله بمعجزات مماثلة لمعجزات موسى، و عيسى، و صالح، و غيرهم من الانبياء كانقلاب العصا الى حية، و اليد البيضاء، و احياء الموتى، و ابراء الاكمه و الابرص، و اخراج ناقة حية من جحر الجبل. و كانوا يقولون: ان كان هذا النبي صادقا، فلماذا لا ياتي بمثل هذه المعجزات؟ و لماذا لا ينزل ربه عليه من السماء مثل هذه الاشياء الخارقة للعادة من اجل شد ازره و معاضدته؟ انهم لم يعترفوا بالقرآن المجيد بوصفه اعظم معجزة نزلت على النبي، فكانوا يرتابون فيه، و لم يعتنوا به لاهئين وراء معجزات اخرى حسية و مادية كمعجزات القرون الخالية.

بيد ان طلبهم هذا غير صائب من عدة جهات: اولاً: ان اختيار المعجزة الخارقة للعادة بيد الله و حسب، فليس لرسول الله ان يتدخل فيها بصورة مستقلة فهو انسان مخلوق و خاضع لحكم الله كبقية الناس. و ليس باستطاعته ان يعمل خلاف الارادة الالهية ابداء، سواء شاء هو نفسه او اراد الآخرون منه ذلك. قال جل من قائل: لا يملك لنفسه نفعا و لا ضرا و لا موتا و لا حيوة و لا نشورا. فكلما يريد الله، فانه يجريه على يد نبيه، سواء كان ذلك احياء الموتى، او انقلاب العصا الى ثعبان، او انزال القرآن. و لذلك فان النظر الى النبي على انه مستقل في التأثير او شريك في الاثر خطأ بحت. ثانياً: كان علم السحر و الشعوذة قد بلغ ذروته في عصر موسى فجعل الله معجزته من سنخ ذلك العلم الشائع بين الناس و امثاله. بحيث تفوقت على قدرة الانسان، و بالفعل فقد اذعن السحرة حينئذ لتلك المعجزة و آمنوا بها. و كان علم الطب قد تطور في عصر عيسى الى درجة كان الاطباء يعالجون الامراض المتعذر علاجها، فجعل الله معجزته من صنف ذلك العلم بحيث ان الحاذقين في علم الطب عجزوا عن الاتيان بمثلها. و حقيقة المعجزة هي ان العلماء المعاصرين لها، الذين كرسوا اعمارهم في العلوم المماثلة لها،

عاجزون عن الاتيان بمثلها، و لا بد لهم ان يعترفوا بتفوقها و تقدمها على غيرها من العلوم، لا ان عوام الناس عاجزون عن الاتيان بمثلها.

و في عصر رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم بلغ علم الفصاحة و البلاغة اوجبه، و كان الشعراء المتضلعون ينشدون الاشعار الادبية مزينين اياها بانواع الكنايات و الاستعارات، و التمثيلات مع مراعاة الايجاز و سائر فنون علم العربية و ادبها، و كانوا يعلقونها في الكعبة، و كانت المعلمات السبع نموذجا ماثلا لذلك.

مضافا الى ذلك فان الانسان يضع له في كل يوم قانونا، ثم يبنتلى به، و لا يعرف علاجا لامراضه و آلامه.فكان القرآن الكريم في اعلى درجات الفصاحة و البلاغة الى حد الاعجاز من جهة، و من جهة اخرى، كان مثالا في رصانة القوانين و استقامتها و سلامتها، تلك القوانين و الاحكام الفطرية التي جاء بها للبشرية، و كلها قد دونت على نسق واحد على اساس من توحيد الله، و ربط جميع الناس، بل جميع الكائنات، بل جميع المخلوقات وفقا لقاعدة اللطف و التوحيد. و من جهة اخرى فان اعجاز القرآن، و كذلك دعوة جميع الناس الى الله ربهم، الذي هو اقرب اليهم من كل شيء، يعتمدان على مبدا الجمال و الجلال الذي تتطوي فيه جميع اسماء الله.

و الاله من ذلك كله هو ما نلحظه من ترابط و تماسك بين جميع هذه المواضيع و القوانين و قصص الانبياء و الامم، و السير في الآفاق، و النظر الى ملكوت السماوات، و النجوم، و الليل و النهار و الارض و المطر و السحاب و الرياح.و اخضرار الارض و نضارة الطبيعة، و خلق الانسان و المراحل التدريجية التي يمر بها الجنين و الحيوان، و الموت و البعث و ثمرة الاعمال و الحساب في جميع المخلوقات، و الوجود كله، و كله قد جمع في كتاب موجز يمكن حمله في الجيب، و هو على ذلك التركيب الرفيع و النسيج البديع. من جهة اخرى فانه معجزة رسول الله الخالدة للعلماء و الحاذقين في كل عصر و زمان الى يوم القيامة، كما رفع نفسه لواء التحدي و دعا الناس جميعهم - في مقام الاعجاز - الى الاتيان بمثله.لذلك فان الناس اذا لم يؤمنوا بهذا القرآن، فهم لا يؤمنون بمعجزات اخرى كمعجزة موسى و عيسى ابداء.و ثالثا: ان ما اخذه الله على نفسه هو الاتيان بمعجزة لانبيائه، حتى يستبين اتصالهم به و بعالم الغيب، و تكون سندا لنبوتهم، لا انه ياتي بمعجزة جديدة كل يوم كما تهوى انفس الناس.فالمعجزات المتتالية تصنع اناسا جامدين و عديمي الفهم، و تصدر منهم عقولهم، و تعطل سنة الله في تربية البشرية و اعدادها، و تقف حجر عثرة في طريق تكاملها على اساس الاختيار و المجاهدة و العمل الصالح.و اذا كان الناس من اهل التسليم و الطاعة، فينبغي عليهم ان يسلموا لاول معجزة تاتيهم، و اذا لم يكونوا كذلك، فانهم لا يسلمون مهما كانت المعجزات كثيرة و متنوعة، اذ يفسرونها بالسحر و الشعوذة، و يسلكون سبلا مضلة تهربا من اتباع انبيائهم كما قال تعالى في محكم كتابه العزيز:

و لو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم و لو اسمعهم لتولوا و هم معرضون. (2)

مضافا الى ذلك، فليس هناك حد معين لاهواء الناس و طلباتهم، فتراهم كل يوم يطلبون معجزة جديدة من نبيهم غير معجزة الامس، و ليس لنبيهم الا ان يكون العوية لتنفيذ مآربهم الفاسدة.و يصبح



مدعاة لتعطيل السنن الكونية بدل التوجه الى التربية و التعليم و ارائة الصراط المستقيم المؤدي الى الله دائماً، و بالتالي فانه ينبري الى تادية امورهم عن طريق الاشياء الخارقة للعادات وفقاً لما تهوى انفسهم. و كان مشركوا مكة و كفارها يطلبون من رسول الله معجزات متنوعة و لافتة للنظر كانزال ملائكة يرونهم، و الاتيان بكتاب محسوس من السماء، و تحويل الحجر الى ذهب، و تفجير الينابيع و الانهار في جبال مكة، او ان يكون له بيت من زخرف، او يرتقي في السماء، و امثال ذلك. و لما كان رسول الله لا يستجيب لطلباتهم، فانهم - دون الالتفات الى الآيات القرآنية الكفيلة بعلاج كل مشكلة و الجواب على كل سؤال و توضيح كل غامض - كانوا يقولون على سبيل المؤاخذة:

لو لا انزل عليه آية من ربه.

و هذه مؤاخذة بلغت من السقم و القبح درجة، نجد فيها ان الله جل شأنه اعرض عن جوابهم و لم يخاطبهم في الرد عليهم بل و لم يتحدث مع نبيه عن كلامهم، و اكتفى فقط بخطاب نبيه في امر هام و اصيل قائلاً:

انما انت منذر و لكل قوم هاد.

تدل هذه الآية على ان الارض لا تخلو من امام و حجة ابداء. و سيكون هذا الامام دليلاً و هادياً من الله لطبقات الناس المتنوعة في العصور المختلفة دائماً يدعوا الى سبيل الحق، سواء كان هذا الدليل النبي المنذر او كان الهادي بهداية الله. و لم يختلف المفسرون في ان المنذر في هذه الآية هو الرسول الاكرم، و ذلك ان قوله:

انما انت منذر

صريح في انحصار وصف الانذار به، بيد انهم اختلفوا في القصد من الهادي، فذكروا اربعة اوجه في تفسيره.

الوجه الاول: قالوا: هو الله. فكانه يريد ان يقول: انت ايها النبي تدعو الناس الى الله فقط، و تنذرهم من مغبة اعمالهم القبيحة، و لكن الهداية بيد الله فانه يوجه كل فرقة الى حيث امنها و امانها. و قد نقل هذا القول عن سعيد ابن جبير. (3)

و ابن عباس، و الضحاك، و مجاهد. (4)

يقول السيوطي: اخرج ابن جرير، و ابن منذر، و ابن ابي حاتم عن سعيد بن جبير، قال: في قوله تعالى:

انما انت منذر و لكل قوم هاد،

قال: محمد المنذر و الهادي الله عز و جل. (5)

و اخرج ابن جرير، و ابن مردويه، عن ابن عباس مثلاً. (6)

و على الرغم من ان الهادي في الحقيقة هو الله، بيد ان ظاهر الآية الذي يفيد جعل الهادي في مقابل النبي ينبئنا ان المقصود به هنا هو الشخص الذي يهدي الناس الى الله، لذلك فان هذا التفسير لا ينسجم مع ظاهر الآية، و لا يمكن قبوله.

الوجه الثاني: قالوا: الهادي هو رسول الله نفسه، و ان قوله: لكل قوم متعلق بكلمة هاد و مقدم

عليها، و كان في الاصل:

انما انت منذر و هاد لكل قوم.

لذلك فان قوله: لكل قوم متعلق بكلمة هاد. (7)

و قد نقل هذا القول عن عكرمة، و ابي الضحى. (8)

و الحسن البصري، و الجبائي. (9)

يقول السيوطي: اخرج ابن جرير عن عكرمة، و ابي الضحى في قول الله تعالى:

انما انت منذر و لكل قوم هاد،

قالا: محمد صلى الله عليه [و آله] و سلم هو المنذر و هو الهادي. (10) و اخرج ابن جرير، و ابن

مردويه عن ابن عباس مثلها. (11)

ان هذا القول و ان كان لا يخالف ظاهر الآية، لكنه قابل للطعن من حيث المعنى، فلنا ان نتساءل: ما هو الدليل على ورود كلمة «منذر» بشكل مطلق، و مجيء «هاد» لكل قوم؟ فاذا كان رسول الله هاديا لكل قوم، فانه منذر لهم ايضا، و لا بد - اذن - ان يكون قوله: «لكل قوم» متعلقا بكلمتي: «منذر» و «هاد»، بينما نجده في الآية المباركة متعلقا بخصوص كلمة: «هاد» .

الوجه الثالث: قالوا: الهادي نبي في كل زمان. فكانه يريد ان يقول: ايها النبي، انت تنذر الناس من عذاب الله في هذا الزمان، و تدعوهم الى معجزتك المتمثلة بالقرآن المجيد و تهديهم اليها. و في كل زمان انبياء يهدون الناس الى الله بمعجزاتهم مثل: انقلاب العصا الى حية، و احياء الموتى، و اخراج ناقة حية من الجبل، و عرض القرآن الكريم على الناس. و نقل الفخر الرازي هذا القول عن القاضي، و قال: تنتظم الآية بهذا المعنى، و هو وجه صحيح. (12) و نقله الشيخ الطبرسي ايضا عن ابن عباس في رواية اخرى، و كذلك نقله عن قتادة، و الزجاج، و ابن زيد. (13)

يقول السيوطي: اخرج ابن شيبه، و ابن جرير، و ابن منذر، و ابن ابي حاتم، و ابو الشيخ عن

مجاهد في قوله تعالى:

انما انت منذر و لكل قوم هاد،

قال: المنذر محمد صلى الله عليه [و آله] و سلم و لكل قوم هاد نبي يدعوهم الى الله. (14)

و هذا التفسير لا يخالف ظاهر الآية، بيد اننا لا بد ان نسال: لماذا يكون الانبياء فقط هم الهداة الى الله؟ فاوصياء الانبياء مثل: يوشع بن نون و شمعون الصفا، و علي بن ابي طالب، و سائر الائمة الطاهرين هم هداة البشر الى الله حقا، اذ يهدون الناس بنور الله و هدايته.

و هنا يأتي الوجه الرابع فنقول: الهادي هو كل من يهدي الناس الى الله سواء كان نبيا او وصي نبي، و ينطبق هذا المعنى في الآية المباركة على رسول الله، و كذلك ينطبق على الائمة الطاهرين، فهو و هم مصاديق لهذا العنوان. و نقل هذا القول في «مجمع البيان» تحت عنوان: الاحتمال الرابع قال: المراد بالهادي كل داع الى الحق. (15) و دعم العلامة الطباطبائي مد ظله هذا الاحتمال ايضا. (16) يقول السيوطي: اخرج ابن جرير، و ابن ابي حاتم، و ابو الشيخ عن ابن عباس انه قال: و لكل قوم

هاد، قال: داع. (17)

و في ضوء الروايات الكثيرة الماثورة عن الفريقين التي قال فيها رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: «انا المنذر و علي بن ابي طالب عليه السلام الهادي». يستبين المعنى، فهي جميعها تدل عليه، اذ المنذر هو الداعي الى الحق، و رسول الله مصداق الهادي و مصداق المنذر. اي ان الهداية مترافقة مع الدعوة و الانذار.

اما علي بن ابي طالب فلم تكن له نبوة او دعوة بل كان له فقط عنوان الهداية الى الله. و من الضروري لنا قبل الخوض في الروايات الماثورة ان نبين معنى المنذر و الهادي ليتضح لنا موقع الامام عليه السلام و مهمته و حجم تحمله. فالانذار يعني التحذير و التنبيه، و الهداية تعني الايصال الى المطلوب. يقول صاحب تفسير «بيان السعادة» في ذيل تفسير الآية الشريفة: ان الرسول كمن ينبه من النوم و ينذر من المخاوف من كان في بادية لا طريق فيها الى عمران و كان فيها سباع كثيرة و حيات مهلكة و مؤذيات قوية لم يشعر بضلالتة و بمهلكات تلك البادية، فاذا تنبه و انذر طلب لا محالة منيدله على طريق العمران و يخرج من تلك البادية و ذلك الدال هو الهادي الذي يوصله الى المعمورة. (18)

و نقل الشيخ اسماعيل حقي البروسوي عن الغزالي في كتاب «شرح الاسماء الحسنى» انه قال: الهادي هو الذي هدى خواص عباده اولا الى معرفة ذاته حتى استشهدوا على الاشياء به، و هدى عوام عباده الى مخلوقاته حتى استشهدوا بها على ذاته، و هدى كل مخلوق الى ما لا بد له منه في قضاء حاجاته، فهدى الطفل الى التقام الثدي عند انفصاله، و الفرخ الى التقاط الحب عند خروجه، و النحل الى بناء بيته على شكل التسديس لكونه اوفق الاشكال لبدنه. و الهداة من العباد الانبياء عليهم السلام ثم العلماء الذين ارشدوا الخلق الى السعادة الاخروية و هدوهم الى صراط الله المستقيم، بل الله الهادي لهم على سنتهم، و هم مسخرون تحت قدرته و تدبيره. ثم قال: و في تفسير «الكواشي»: المنذر محمد و الهادي علي. الى ان قال: فان السلسلة ممدودة من الطرفين الى آخر الزمان و سيخرج في امته مهدي يحكم بشريعته و ينفى تحريف المائتين و زيغ الزائغين في خلافته عن ملته. (19)

اما الروايات الماثورة عن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم التي جاء فيها ان الهادي في الآية الكريمة علي بن ابي طالب فهي كثيرة، و رواها علماء الشيعة و السنة في كتبهم بمضامين متنوعة. حتى ان احمد بن محمد بن سعد الف كتابا حول شان نزول الآية

انما انت منذر و لكل قوم هاد

في امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام. (20) و كذلك الروايات الماثورة عن كبار الصحابة، و عن الائمة الطاهرين التي تحوم حول تفسير الآية خاصة به و بائمة اهل البيت فهي كثيرة، و ها نحن هنا نقسم هذه الروايات الى طبقات من حيث المتن و المضمون.

الطبقة الاولى: الروايات التي تدل على وجود هاد في كل عصر، و ان كل امام هو الهادي و الدليل الى الله في ذلك العصر.

روى محمد بن يعقوب الكليني بسنده عن موسى بن بكير، عن الفضيل، قال: سألت ابا عبد الله

عليه السلام عن قول الله عز و جل: و لكل قوم هاد، فقال: كل امام هاد للقرن الذي هو فيهم. (21)  
و روى الكليني ايضا مثل هذه الرواية بسند آخر عن حماد بن عيسى عن حريز بن عبد الله، عن  
الامام الصادق عليه السلام. (22) و نقلها الشيخ الصدوق، ابن بابويه القمي ايضا بسنده عن محمد بن  
مسلم، عن الامام الصادق عليه السلام. (23) و كذلك رواها بسنده المتصل عن بريد بن معاوية  
العجلي، عن الامام محمد الباقر عليه السلام، (24) و رواها ايضا بسند آخر عن عمر بن اذينة، عن  
بريد بن معاوية العجلي، عن الامام محمد الباقر عليه السلام. و ذكرها علي بن ابراهيم القمي في تفسيره  
بسنده عن الامام الصادق عليه السلام. (25) و رواها العياشي ايضا في تفسيره بسنده عنابي جعفر  
عليه السلام. (26)

الطبقة الثانية: الروايات التي تذكر ان الهادي هو الامام من اهل البيت فهي تشمل الائمة واحدا بعد  
الآخر. ذكر الكليني بسنده عن بريد بن معاوية العجلي، عن الامام محمد الباقر عليه السلام في قول الله  
عز و جل:

انما انت منذر و لكل قوم هاد،

فقال عليه السلام: رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم المنذر، و لكل زمان منا هاد يهديهم الى  
ما جاء به نبي الله صلى الله عليه و آله و سلم ثم الهداة من بعده علي ثم الاوصياء واحدا بعد واحد.  
(27)

و كذلك ذكر السيد هاشم البحراني في «تفسير البرهان» مثل هذا الحديث عن حنان بن سدير، عن  
ابيه، عن الامام محمد الباقر عليه السلام. (28) و نقله العياشي في تفسيره عن بريد بن معاوية العجلي،  
عن الامام محمد الباقر عليه السلام:  
انما انت منذر و لكل قوم هاد.

فقال: قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: انا المنذر، و في كل زمان امام منا يهديهم الى  
ما جاء به نبي الله صلى الله عليه و آله و سلم، و الهداة من بعده علي ثم الاوصياء من بعده واحد بعد  
واحد، و الله ما ذهب منا و ما زالت فينا الى الساعة، رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم المنذر و  
بعلي يهتدي المهتدون. (29) و روى الكليني بسنده مثله عن ابي بصير، عن الامام الصادق عليه  
السلام. (30)

و ذكره الصفار في «بصائر الدرجات». (31)

الطبقة الثالثة: الروايات التي تدل على ان الهادي في الآية الكريمة هو علي بن ابي طالب. فقد روى  
ابراهيم بن محمد الحموي، و هو من اعيان علماء العامة، في كتاب «فرائد السمطين في فضائل  
المرتضى و البتول و السبطين» باسناده عن الامام ابي الحسن علي بن احمد الواحدي، قال: من  
الآيات فيها علي تلو النبي صلى الله عليه و آله و سلم في قوله

انما انت منذر و لكل قوم هاد. (32)

و روى الحسكاني مثلها في نيل ص 303 من الجزء الاول من «شواهد التنزيل» عن الباب الثامن

و العشرين من كتاب «فرائد السمطين» تحت الرقم 122.

و جاء ايضا عن سعيد بن المسيب، عن ابي هريرة، قال: سألت رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم عن هذه الآية، فقال لي: هادي هذه الامة علي بن ابي طالب. (33)

و روى ابن شهرآشوب عن ابن عباس، و الضحاك، و الزجاج قولهم:

انما انت منذر

(رسول الله)

و لكل قوم هاد

(علي امير المؤمنين). (34)

و رواه ايضا عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس بسند آخر. (35) و عن عبد الله بن عطاء عن الامام محمد الباقر عليه السلام. (36) و عن ابي هريرة، (37) و عن سعيد بن المسيب، عن ابي هريرة، عن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم بسند آخر. (38)

و روى الشيخ الطبرسي ايضا هذا المضمون عن ابن عباس، عن رسول الله. (39)

و رواه الفيض الكاشاني ايضا عن «مجمع البيان»، (40) عن رسول الله، و عن «الكافي» للكليني، عن الامام الباقر عليه السلام، عن رسول الله، (41) و عن «اكمال الدين» و «تفسير علي بن ابراهيم»، و «تفسير العياشي». (42)

و قال ايضا: ذكره كثير من رواة الخاصة و العامة باسانيد مختلفة، (43) و نقل عن القمي قوله: ورد على من انكر ان في كل عصر و زمان اماما، و انه لا تخلو الارض من حجة. (44)

و ذكر السيد هاشم البحراني مضمون هذه الرواية في «تفسير البرهان» عن عبد الله بن عطاء، عن الامام الباقر عليه السلام، (45) و عن سعيد بن المسيب، عن ابي هريرة، عن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم، (46) و عن ابن عباس، و الضحاك، و الزجاج، (47) ثم قال: و الرواية عن ابن عباس في هذه الآية بهذا المعنى مستفيضة من طرق الخاصة و العامة يطول الكتاب بذكرها. (48) و قال: قال ابن شهرآشوب: صنف احمد بن محمد بن سعيد كتابا في قوله: تعالى:

انما انت منذر...

انها نزلت في امير المؤمنين عليه السلام. (49)

و يقول السيوطي: و اخرج ابن مردويه و الضياء في «المختارة» عن ابن عباس، عن رسول الله هذا المضمون. (50) و رواه الحاكم الحسكاني ايضا عن ابن عباس، عن رسول الله، (51) و عن ابن عباس في رواية اخرى، (52) و عن ابي هريرة، عن رسول الله (53)، و كذلك عن ابي برزة الاسلمي عن رسول الله، (54) و ايضا بسنده عن عمر بن عبد الله بن يعلى بن مرة، عن ابيه عن جده، عن رسول الله، (55) و كذلك بسنده عن عبد الوهاب بن مجاهد، عن ابيه. (56)

و روى العياشي في تفسيره عن مسعدة بن صدقة، عن جعفر بن محمد، عن ابيه، عن جده عليهم

السلام، قال:

قال امير المؤمنين عليه السلام: فينا نزلت هذه الآية:

انما انت منذر و لكل قوم هاد.

فقال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: انا المنذر و انت الهادي، يا علي فمنا الهادي و النجاة

و السعادة الى يوم القيامة. (57)

و روى ايضا عن جابر بن عبد الله، عن الامام الباقر عليه السلام انه قال: قال النبي صلى الله

عليه و آله و سلم: انا المنذر و علي الهادي الى امري. (58)

و ذكر السيد البحراني هذه الرواية ايضا بسند آخر عن جابر بن عبد الله. (59) و روى الصفار في

«بصائر الدرجات» نفس المضمون بسند عن ابن يزيد، بسنده المتصل عن عبد الله بن عطاء، عن

الامام محمد الباقر عليه السلام، (60) و بسند آخر عن محمد بن الحسين، عن عمرو بن عثمان، عن

المفضل، عن جابر، عن الامام الباقر عليه السلام، (61) و بسند ثالث عن علي بن الحسين بسنده عن

مروان بن نجم، عن الامام الباقر عليه السلام، (62) و بسند رابع عن احمد بن محمد، عن الحسين،

عن محمد بن خالد، عن ايوب بن الحر، عن الامام الباقر عليه السلام. (63) و كذلك رواها فرات بن

ابراهيم في تفسيره عن الحسين بن الحكم باسناده عن عبد الله بن عطاء، عن الامام الباقر عليه السلام.

(64)

و روى علي بن ابراهيم ايضا في تفسيره عن ابيه، عن يحيى بن ابي عمران، عن يونس، عن

سعدان بن مسلم، عن ابي بصير، عن الامام الصادق عليه السلام في تفسير قوله تعالى:

ذلك الكتب لا ريب فيه هدى للمتقين،

قال: «الكتب» [الذي لا ريب فيه] علي عليه السلام لا شك فيه «هدى للمتقين» قال عليه السلام:

تبيان لشيعتنا. (65)

و روى محمد بن يعقوب الكليني في «الكافي» باسناده عن عبد الرحيم القصير، عن الامام الباقر

عليه السلام في تفسير الآية:

انما انت منذر و لكل قوم هاد.

قال: رسول الله صلى الله عليه و آله و انا المنذر و علي الهادي، اما و الله ما ذهبت منا و ما

زالت فينا الى الساعة. (66) و (67)

الطبقة الرابعة: الروايات التي اثرت عن امير المؤمنين عليه السلام نفسه، اذ قال فيها: انا الهادي

في هذه الآية الشريفة: و روى المرجوم الصدوق في «الامالي» عن الطالقاني بسنده المتصل عن عباد

بن عبد الله انه قال: قال علي عليه السلام:

ما نزلت من القرآن آية الا و قد علمت اين نزلت و فيمن نزلت و في اي شيء نزلت، و في سهل

نزلت او في جبل نزلت، قيل: فما نزل فيك؟ فقال: لو لا انكم سالتموني ما اخبرتكم، نزلت في الآية:

انما انت منذر و لكل قوم هاد

فرسول الله المنذر و انا الهادي الى ما جاء به. (68)

و ذكر الفارسي ايضا في كتاب «الروضة» فقال: قال علي عليه السلام:  
انما انت منذر و لكل قوم هاد،

«منذر» محمد و «لكل قوم هاد» انا. (69)

يقول السيوطي: اخرج عبد الله بن احمد في «زوائد المسند» و ابن ابي حاتم، و الطبراني في «الايوسط»، و الحاكم، و ابن مردويه، و ابن عساكر، و صححه الحاكم ايضا عن علي بن ابي طالب في قوله:

انما انت منذر و لكل قوم هاد،

قال: رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم المنذر و انا الهادي، و في لفظ: و الهادي رجل من بني هاشم يعني نفسه. (70)

و روى الحاكم الحسكاني بسنده المتصل عن عباد بن عبد الله مثل هذه الرواية التي نقلناها عن «امالي» الصدوق، عن عباد بن عبد الله، الى ان قال في آخرها: فرسول الله المنذر و انا الهادي الى ما جاء به. (71)

و قال في هامش الجزء الاول، ص 300 من «شواهد التنزيل»: قال ابن الاعرابي في كتاب «معجم الشيوخ» الجزء الثاني، ورق 120، و في نسخة اخرى، ورق 203: ذكر ابو سعيد الحارثي عن الحسين بن علي الاشقر عن منصور بن ابي الاسود، عن الاعمش، عن المنهال، عن عباد بن عبد الله، عن علي بن ابي طالب عليه السلام في الآية  
انما انت منذر و لكل قوم هاد،

قال: قال علي: رسول الله المنذر و انا الهادي. ثم قال: ذكر ابن عساكر في «تاريخ دمشق» هذا الحديث في ترجمة علي بن ابي طالب تحت عنوان: الحديث 914 عن عباد بن عبد الله.  
و رواه ايضا صاحب «منتخب كنز العمال» في حاشية «مسند احمد» الجزء الاول، ص 451 في اول تفسير سورة الرعد عن ابن ابي حاتم، و رواه الحاكم في «المستدرک» في الحديث 77 في باب مناقب امير المؤمنين ج 3، ص 129، رواه بسنده المتصل عن عباد بن عبد الله الاسدي، عن امير المؤمنين عليه السلام، ثم قال: هذا الحديث اسناده كلها صحيحة.

و قال الشيخ محمد باقر المحمودي بعد بيان هذا الحديث: و قد هاج بالذهبي داء النصب و ضاق به الخناق فخرج عن فطرة العقلاء من التكلم على الموازين العلمية فقال في تلخيصه على «المستدرک»: هذا [الحديث] كذب قبح الله واضعه! و انتبعد الاحاطة بما تقدم قل بصريح القول هذا صدق: قبح الله منكره و جاحد مزايا اهل البيت و من يتكلم في العلم بالجهل! ثم قال: ان الحديث رواه ايضا في «كنز العمال» ج 1 ص 251، و قال: اخرجه ابن ابي حاتم. (72)

الطبقة الخامسة: الروايات الماثورة عن امير المؤمنين عليه السلام التي قال فيها: الهادي رجل من بني هاشم، يريد بذلك نفسه.

كما جاء في الروايات التي نقلها السيوطي، فقال: اخرج عبد الله بن احمد بن حنبل في «زوائد

المسند» و ابن ابي حاتم، و الطبراني في «الاوسط» و الحاكم بتصحيحه في «المستدرک» ، و ابن مردويه، و ابن عساکر، فجاء في كلامهم لفظ: رجل من بني هاشم. (73) و روى الثعلبي في تفسيره عن السدي، عن عبد خير، عن علي بن ابي طالب عليه السلام انه قال: المنذر النبي صلى الله عليه و آله و سلم و الهادي رجل من بني هاشم - يعني نفسه. (74)

و روى الحافظ ابو نعيم الاصفهاني ايضا بهذه الاسناد عن عبد خير عن سعيد بن جبیر عن ابن عباس انه قال: قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: انا المنذر و الهادي رجل من بني هاشم. (75) و روى الحاكم الحسكاني هذا الحديث نفسه عن ابي الحسن النجار الطبراني بسنده عن عبد خير، عن امير المؤمنين عليه السلام. (76) و ذكره بسند آخر عن ابي عبد الله، عن عثمان بن ابي شيبة، (77) و بسند ثالث عن عبد الله الثقفي، عن عبد خير، عن امير المؤمنين عليه السلام. (78) و قال في تعليقة من «شواهد التنزيل» ج 1، ص 299: ذكر ابن عساکر هذه الرواية بهذا السند عن امير المؤمنين عليه السلام تحت الرقم 912 من ترجمة امير المؤمنين في «تاريخ دمشق». و ذكرها صاحب «مجمع الزوائد» في ج 7 ص 41، و قال: ذكرها عبد الله بن احمد بن حنبل، و الطبراني في «الصغير» و «الاوسط» مع تصريحهما بوثاقة رجال السند. و ذكرها السيوطي في «الدر المنثور» بتخريج ابن مردويه، و ابن عساکر.

الطبقة السادسة: الروايات الكثيرة الماثورة عن الرسول الاكرم صلى الله عليه و آله و سلم التي تذكر ان النبي طلب ماء للوضوء، و بعد فراغه من الوضوء، اخذ بيد امير المؤمنين عليه السلام فضمها الى صدره و قال: انت المنذر، ثم ضمها الى صدر امير المؤمنين و قال:  
و لكل قوم هاد.

و قد نقلت الروايات بمضامينها المتنوعة هذه القضية عن رسول الله. روى محمد بن الحسن الصفار في «بصائر الدرجات» باسناده عن ابي حمزة الثمالي انه قال: سمعت ابا جعفر عليه السلام يقول: دعا رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم بوضوء طهر فلما فرغ اخذ بيد علي صلى الله عليهما فالزمها يده ثم قال:

انما انت منذر

ثم ضم يده الى صدره و قال:

و لكل قوم هاد

ثم قال: يا علي! انت اصل الدين و منار الايمان و غاية الهدى و قائد الغر المحجلين اشهد لك بذلك. (79) و نقل فرات بنابراهيم هذه الرواية في تفسيره عن ابي حمزة، عن الامام الباقر عليه السلام. (80)

يقول السيوطي: اخرج ابن جرير، و ابن مردويه، و ابو نعيم الاصفهاني في كتاب «معرفة الصحابة»، و الديلمي، و ابن عساکر، و ابن النجار، قالوا: لما نزلت:

انما انت منذر و لكل قوم هاد

وضع رسول الله يده على صدره فقال: انا المنذر، و اوما بيده الى منكب علي رضي الله عنه فقال:



انت الهادي، يا علي بك يهتدي المهتدون. (81) و روى ذلك الثعلبي في تفسيره عن عطاء بن سائب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس. (82) و ذكر الطبري ايضا في ج 13 ص 108 من تفسيره هذا الحديث نفسه عن ابن عباس بنفس السند. (83) و ذكره الحاكم الحسكاني باسناده باربعة طرق عن عطاء بن سائب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس. (84)

و روى الحاكم الحسكاني ايضا عن ابي الحسن الفارسي باسناده عن ابي فروة السلمي انه قال: دعا رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم بالطهور و عنده علي بن ابي طالب فاخذ رسول الله بيد علي بعد ما تظهر فالزقها بصدرة ثم قال:

انما انت منذر

ثم ردها الى صدر علي ثم قال: «و لكل قوم هاد» ثم قال: انك منار الانام و غاية الهدى و امير القراء، اشهد على ذلك انك كذلك. (85)

و نقل ابن شهرآشوب هذه الرواية ايضا عن الحاكم الحسكاني الا انه ذكر الراوي على انه ابو برزة و اتى بكلمة «الصقها» بديلة عن كلمة «فالزقها». و كذلك فانه نقل في ذيلها هذه العبارة: انت منار الانام و راية الهدى و امين القرآن و اشهد على ذلك انك كذلك. (86) و ذكر ابو الفتح الرازي هذه الرواية ايضا غير ان اسم الراوي عنده هو ابو بردة الاسلمي، و جاء بكلمة «فالزمها» بديلة عن كلمة «فالزقها». و في آخرها هذه العبارة: «انك منارة الانام و غاية الهدى، و امير القرى، اشهد على ذلك انك كذلك». (87)

و ذكرها السيد هاشم البحراني ايضا في «غاية المرام» و «تفسير البرهان» عن الحاكم الحسكاني، و جاء بكلمة «فالصقها» بديلة عن كلمة «فالزقها» في كلا الكتابين. غير انه ذكر ذيل العبارة في الحديث كما نقلناها عن الحاكم الحسكاني. (88) و ذكر في «غاية المرام» عبارة امير الغزا بديلة عن امير القراء، و راوي الحديث في «غاية المرام» هو ابو بردة الاسلمي، اما في «تفسير البرهان» فهو ابو بريدة. (89) و ذكر الحاكم في «المستدرک» باسناده هذه الرواية نفسها بالنص الذي نقله البحراني في «تفسير البرهان» عن الحاكم الحسكاني. (90) و نقلها ايضا صاحب «ينابيع المودة» عن الحاكم الحسكاني في الباب 26 ص 99. و الراوي عنده هو بريدة الاسلمي، و ذكر عبارة «فالصق يده» بديلة عن كلمة «فالزقها»، و جاء في آخرها ما يلي: «فقال: انت لكل قوم هاد. ثم قال له: انت مناد الانام و غاية الهدى و امير الغر المحجلين، اشهد على ذلك انك كذلك» .

ثم قال: اخرج ابن صباغ المالكي في «الفصول المهمة» هذه الرواية نفسها عن ابن عباس.

# فهرس التاليفات

## فهرس التاليفات

بسم الله الرحمن الرحيم

تعلم مؤسسة ترجمة و نشر (دورة العلوم و المعارف الاسلامية)من تاليفات العلامة آية الله الحاج

السيد محمد الحسين الحسيني الطهراني

ان الكتب المؤلفة لسماحته كالاتي:

دورة المعارف، و تشمل اقساماً ثلاثة:

1- معرفة الله (1)

2- معرفة الامام (2)

3- معرفة المعاد (3)

دورة العلوم، و تشمل اقساماً اربعة:

1- الاخلاق و الحكمة و العرفان (4)

2- الابحاث التفسيرية (5)

3- الابحاث العلمية و الفقهية (6)

4- الابحاث التاريخية (7)

و له مخطوطات متنوعة اخرى.

## دورة العلوم و المعارف الاسلامية(1)

### معرفة الله

1- معرفة الله (الله شناسي)

اصل هذه الابحاث دورة تفسيرية جرى فيها المذاكرة و التحرير من الآية المباركة

الله نور السموت و الارض

الى

و الله بكل شىء عليم

و قد جرى البحث و المذاكرة في هذه الابحاث عن مسألة التوحيد الذاتي و الاسمائي و الافرعالى

للذات المقدسة للحق تعالى، و عن كيفية نشوء عالم الخلق و ربط الحادث بالقديم، و نزول نور الوجود

في مظاهر الامكان، و حقيقة الولاية و ربط الموجودات بذات البارى تعالى، و عن لقاء الله و الوصول

الى ذاته المقدسة بفناء الوجود المجازى المعار و اندكاه في الوجود المطلق الاصيل الحقيقى.

و اليك بعض عناوين الكتاب:

رؤية الله ممكنة.

الله محب لما سواه، و ما سواه محب له.

امكان رؤية الله و لقائه من قبل المؤمنين المحسنين.

الله تعالى موجود في كل مكان، فافتح عينيك و انظر.

منكرو لقاء الله هم الاخسرون.

الطرق المختلفة لمعرفة الله - عدا طريق لقائه - جميعها منحرفة و معوجة و مظلمة.

منطق القرآن يحصر كل كيفية و اثر للوجود في الله تعالى.

معنى تشخص الوجود: لا هو الا هو.

جميع الناس - عدا العارفين - ينظرون الى الله تعالى بعين حواء.

القائلون بتاثير غير الله تعالى مبتلون بالشرك الخفي.

الحشوية و الشيخية و القشرية لا خلاق لهم من الله تعالى. انحرافات الشيخ احمد الاحسائي و اتباع

منهجه في امر التوحيد.

و هذه المجموعة تحت الطبع حالياً.

## دورة العلوم و المعارف الاسلامية (2)

### معرفة الامام

#### 1- معرفة الامام (امام شناسي - انتشارات حكمت)

مجموعة من البحوث التفسيرية، الفلسفية، الروائية، التاريخية و الاجتماعية في الامامة و الولاية بشكل عام، و في امامة و ولاية امير المؤمنين علي بن ابي طالب و الائمة المعصومين سلام الله عليهم اجمعين بشكل خاص، و ذلك في هيئة دروس استدلالية علمية متخذة من القرآن الكريم و الروايات الواردة عن الخاصة و العامة و ابحاث حلوية و نقدية عن الولاية.

و تضم هذه المجموعة (270) درسا في ثمانية عشر مجلدا، طبع منها حتى الآن اثنا عشر مجلدا بالفارسية، و قد جرى فيها مناقشة و بحث مطالب من قبيل: العصمة، الولاية التكوينية، لزوم الامام الحي، لزوم متابعة الاعلم، ضرورة وجود الامام للمجتمع، معنى الولاية، شرح حجة الوداع، شرح واقعة غدیر خم، احاديث الولاية، حديث المنزلة، شرائط القيادة، علم الغيب و مجموعة علوم و قضايا و محاكمات امير المؤمنين عليه السلام، معية الامام للقرآن في جميع العوالم، حديث الثقلين، تقدم الشيعة في جميع العلوم، كتب الشيعة المؤلفة، مباحث عن الصحيفة السجادية، سير علوم الشيعة و تاريخهم من صدر الاسلام، عظمة مدرسة الامام الصادق عليه السلام و مقامها العلمي، الرد على نظريات و عقائد المذاهب المختلفة لاهل السنة في الاصول و الفروع، العلوم العالمية للامام الصادق عليه السلام، العلوم الاسلامية للامام الصادق عليه السلام، خلود مدرسة الامام الصادق عليه السلام، و قيام معاوية لافناء آثار النبوة و تبديلها الى سلطنة و...

## دورة العلوم و المعارف الاسلامية(3)

### معرفة المعاد

#### 1- معرفة المعاد (معاد شناسى - انتشارت حكمت)

تشمل 75 مجلسا في كيفية سير الانسان و حركته في الدنيا و عالم الغرور و كيفية تبدل نشأة الغرور الى عالم الحقائق و الواقعيات و ارتحال الانسان الى الله و غاية الغايات. و تقع هذه المجموعة في عشر مجلدات طبعتها بالفارسية، و قد جرى فيها على نحو واف و مستفيض طرح مباحث من قبيل: عالم الصورة و البرزخ و كيفية ارتباط الارواح هناك مع هذه العوالم، كيفية خلقة الملائكة و وظائفهم، النفخ في الصور و موت جميع الموجودات ثم احيائها و قيام الانسان في ساحة الحضرة الاحدية، عالم الحشر و النشور و الحساب و الكتاب و الجزاء و العرض و السؤال و الميزان و الصراط و الشفاعة و الاعراف و الجنة و النار، و ذلك بالاستفادة من الآيات القرآنية و اخبار المعصومين و من الأدلة العقلية و الفلسفية و المطالب الذوقية و العرفانية.

## دورة العلوم و المعارف الاسلامية(4)

### الاخلاق و الحكمة و العرفان

#### 1- رسالة السير و السلوك المنسوبة الى بحر العلوم

(رسالة سير و سلوك منسوب به بحر العلوم - انتشارات حكمت)

جرى في هذه الرسالة، اضافة الى شرح حال المرحوم بحر العلوم و صحة انتساب هذه الرسالة له، بيان حقيقة و مقصد السلوك الى الله سبحانه، كيفية السلوك الى الله و آثاره، و طريقة ذكر العلامة بحر العلوم، و ذلك بشرح مفصل من قبل العلامة آية الله قدس سره.

#### 2- رسالة لب اللباب في سير و سلوك اولى الالباب

(رسالة لب اللباب در سير و سلوك اولى الالباب - انتشارات حكمت)

اصل هذه الرسالة اس و مخ اول دورة من الدروس الاخلاقية و العرفانية للعلامة المفسر و الحكيم العارف آية الله العظمى الطباطبائي قدس سره في الحوزة العلمية في قم، و قد دونت من قبل سماحة العلامة آية الله قدس سره بعنوان تقريرات ثم طبعت مع تنقيحات و اضافات لسماحته.

و قد جرى في هذا الكتاب ذكر كيفية السير و السلوك الى الله بشكل اجمالي و تفصيلي، و شرح تفصيلي للعوالم المقدمة على عالم الخلو، و طرح مباحث من قبيل الشرائط اللازمة للسلوك، مراتب المراقبة، لزوم الاستاذ، و الطرق المختلفة لنفي الخواطر، و ذلك بأسلوب جامع و جميل.

#### 3- التوحيد العلمي و العيني

(توحيد علمي و عيني - انتشارات حكمت)

سلسلة رسائل حكمية و عرفانية بين آيتين علمين هما: الحاج السيد احمد الكربلائي و الحاج الشيخ

محمد حسين الاصبهاني (الكمباني) حول بيت واحد من الشعر للعطار النيسابوري، حيث فسر كل من هذين العلمين ذلك البيت وفق مذاقه في العرفان و الحكمة.

و بسبب اشتمال هذه الرسائل على مباحث دقيقة توحيدية عرفانية و فلسفية برهانية، فقد كتب سماحة العلامة الطباطبائي قدس سره ضمن دروسه في الحوزة العلمية في قم تذييلات و محاكمات من ستة اقسام على الرسائل الثلاث الاولى المتبادلة بين المرحومين الشيخ و السيد، ثم حرر سماحة العلامة آية الله قدس سره ثمانية تذييلات على الرسائل الاربع الاخرى للمرحومين المذكورين بعنوان تنمة لتذييلات العلامة الطباطبائي.

و قد جيء في هذه المجموعة بمقدمة حول هوية اصل الرسائل و العرفاء الاجلاء الذين جرى التطرق الى اسمائهم فيها.

#### 4- الشمس الساطعة

(مهر تابان - انتشارات باقر العلوم عليه السلام)

يمثل هذا الكتاب تابين و محاورات التلميذ مع العلامة العارف بالله و بامر الله السيد محمد حسين الطباطبائي التبريزي قدس الله تربته، و يشمل قسمين يتطرق سماحة العلامة آية الله المؤلف قدس سره في اولهما لبيان تاريخ حياة العلامة الطباطبائي قدس سره و اسلوبه العلمي و الفلسفي و العرفاني و التفسيري و لبيان احوال ثلثة من الاجلاء، في حين يتطرق في القسم الثاني الى ذكر بعض محاوراته مع العلامة الطباطبائي التي تشمل ابحاثا قرآنية و فلسفية و عرفانية و اخلاقية و علمية و تاريخية.

#### 5- الروح المجرد

(روح مجرد - انتشارات حكمت)

في تابين الموحد العظيم و العارف الكبير الحاج السيد هاشم الموسوي الحداد افاض الله علينا من بركات تربته، من اقدم و افضل تلامذة الاخلاقي الكبير العارف بالله و بامر الله آية الله العظمى الحاج السيد علي القاضي الطباطبائي التبريزي نفعنا الله و المسلمين من بركات علومه.

و قد ذكر في هذا الكتاب كيفية تشرف سماحة العلامة آية الله قدس سره بالحضور في محضر سماحة الحداد، و عن كيفية حياته و سيرته العملية و حالاته و مقاماته التوحيدية و احوال تلامذته. و تطرق ضمن بيان اسفار سماحته الى ذكر المباحث التوحيدية الدقيقة، و السلوك الى الله، و لزوم متابعة الاستاذ، و الى الدفاع عن العرفان و العرفاء بالله، و الى رد التهم غير اللاتقة التي وجهت الى محي الدين ابن عربي، و الى معنى وحدة الوجود و...

## دورة العلوم و المعارف الاسلامية (5)

### الابحاث التفسيرية

#### 1- رسالة بديعة

(انتشارات حكمت و صدرا)

الفت هذه الرسالة بالعربية في تفسير آية

الرجال قومون على النساء

و تتضمن دروسا استدلالية في مورد جهاد و قضاء و حكومة المرأة، و بحثا في فلسفة حقوق المرأة و الرجل، و معنى تساوي حقوق المرأة و الرجل، و حدود مشاركة النساء في الجهاد، و روايات و اجماع الفقهاء في عدم جواز تصدي المرأة لمناصب الحكومة و القضاء و عدم جواز ورود النساء في مجلس الشورى.

و تضم هذه المجموعة مطالب تفسيرية، روائية، فقهية، علمية و اجتماعية، كما جرى البحث فيها - للمناسبة - عن ولاية الفقيه.

و قد ترجمت هذه الرسالة من قبل عدة من الفضلاء الى الفارسية لتعميم الفائدة منها.

2- رسالة في الاشهر القمرية و الشمسية

(رساله نوبين - انتشارات صدرا)

بحث تفسيرية، روائي، فقهي و تاريخي حول بناء الاسلام على السنة و الشهور القمرية، جرى خلاله البحث في تفسير آية

ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتب الله

و الخطبة المعروفة لرسول الله في منى، و في تفسير آية «النسيء» .

و من الابحاث الاخرى لهذا الكتاب، عدم مشروعية تبديل الاشهر القمرية الى الشمسية، التدخل المباشر للجانبة في تغيير تاريخ المسلمين على يد مجلس الشورى الوطني الاستعماري خلال ثلاث مراحل تدريجية، انقراض العائلة البهلوية اثر اعلان نسخ التاريخ المحمدي، و فوائد السنة القمرية و مضار السنة الشمسية.

## دورة العلوم و المعارف الاسلامية(6)

### الابحاث العلمية و الفقهية

1- رسالة حول مسالة رؤية الهلال

(انتشارات علامه طباطبائي)

مجموعة مراسلات و مكاتبات سماحة العلامة آية الله قدس سره مع احد اساتذته في علم الاصول: المرحوم آية الله الحاج السيد ابي القاسم الخوئي تغمده الله برحمته في لزوم اشتراك الآفاق في رؤية الهلال لثبوت الاشهر القمرية. و يضم هذا الكتاب بحثا علمية، فقهية، فنية و حلية موسوعية تتضمن خمس رسائل للطرفين و باللغة العربية.

2- وظيفة الفرد المسلم في احياء حكومة الاسلام

(وظيفة فرد مسلمان در احياء حكومت اسلام - انتشارات علامه طباطبائي)

مجموع مطالب هذا الكتاب التي جاءت على اساس الحقائق التاريخية على هيئة دروس ستة، من

انشاء سماحة العلامة آية الله قدس سره للفضلاء من طلاب مدينة مشهد المقدسة، و بجمع و تنظيم احد الفضلاء.

و بعض عناوين مطالب هذا الكتاب عبارة عن: لزوم تاسيس الحكومة و اعداد مقدماتها، العلاقات الاكيدة للمؤلف مع القائد الكبير للثورة سماحة آية الله الخميني قدس سره في تاسيس حكومة الاسلام، سجن آية الله الخميني و النشاط الحثيث للمؤلف في تخليصه من الاعداء، حق التقاضي القنصلي (كابيتولاسيون)، نص رسالة سماحة العلامة آية الله قدس سره حول مسودة القانون الاساسي الى آية الله الخميني و اقتراحاته العشرون الى القائد الكبير للثورة بواسطة المرحوم الشهيد آية الله الشيخ مرتضى المطهري، مع صورة كيفية تشكيل ثمان عشرة لجنة مختلفة الاثر في الجمعية الاسلامية لمسجد القائم في طهران.

### 3- ولاية الفقيه في حكومة الاسلام

(ولايت فقيه در حكومت اسلام - انتشارات علامه طباطبائي و مؤسسه ترجمه و نشر دوره علوم و معارف اسلام)

تتحدث هذه المجموعة حول ولاية الفقيه في حكومة الاسلام، و قد جرى بيانها بعد طبع كتاب «وظيفة الفرد المسلم في احياء حكومة الاسلام»، حيث جمعت و نظمت من قبل اثنين من الفضلاء في مجلدات اربعة تضم 48 درسا.

و قد جرى في هذه المجموعة البحث و التحقيق في مطالب من قبيل: دلائل ولاية الفقيه و شرائطها و موانعها، حقيقة ولاية الامام و الفقيه العادل الجامع للشرائط و حدودها و ثغراتها، و اسلوب الحكم في الاسلام و واجب الناس تجاهه، و ذلك بالاستفادة من الآيات القرآنية و الروايات و الابحاث الفقهية و العلمية و الشواهد التاريخية و الاجتماعية.

### 4- نور ملكوت القرآن

(نور ملكوت قرآن - انتشارات علامه طباطبائي)

هذه المجموعة في القسم الاول من دورة انوار الملكوت (الشاملة لنور ملكوت القرآن، نور ملكوت المسجد، نور ملكوت الصلاة، نور ملكوت الصيام، و نور ملكوت الدعاء) .

و قد دونت مجموعة «نور ملكوت القرآن» في اربعة مجلدات، جرى البحث خلالها عن هداية القرآن الى افضل مناهج و سبل السلام، خلود احكام القرآن، عدم نسخ القرآن، التطبيق العملي لآحاد آيات القرآن في كل عصر، الرد على نظرية تحديد النسل، دور القرآن و موقعه بعنوان كتاب سماوي، نقد و مناقشة بعض الافهام الخاطئة للآيات القرآنية الكريمة، و الاشكالات الواردة على مقالة «بسط و قبض تتوريك شريعت - بسط و قبض نظرية الشريعة» و كتاب «دانش و ارزش - الفكر و القيم» .

و من العناوين الاخرى لهذه المجموعة: منطق القرآن توحيدي، بيان القرآن لاختفاء التوراة و الانجيل، احكام القرآن في الجهاد، القتل، الاسترقاق، و الفدية، سير القرآن في آيات الانفس و الآفاق، بيان محكمات القرآن و متشابهاته، كيفية قراءة القرآن في الصلاة و غيرها، تاثير القرآن في تربية الانسان الكامل، عظمة اخلاق القرآن، بيان كيفية خلق الانسان و السيارات في القرآن، دعوة الآيات

الآفاقية الى التوحيد و مكارم الاخلاق، العربية و اعجاز القرآن، لزوم التكلم بالعربية لجميع المسلمين و الرد على مسالة احياء اللغات الفارسية القديمة، عظمة القرآن الكريم و اصلته، تاثير القرآن في الحضارة الاسلامية العظيمة، تفوق علوم الاسلام على اليونان، بيان كيفية كتابة القرآن و طباعته، تاريخ التوراة و الانجيل الحاليين، قاطعية القرآن و شموله، عمومية القرآن الكريم و امتناعه على التغيير، كيفية جمع القرآن و تدوينه.

و قد طبع من هذه المجموعة مجلدان حتى الآن بالفارسية.

5- نظرة على مقالة بسط و قبض نظرية الشريعة للدكتور عبد الكريم سروش

(نكرشى بر مقاله بسط و قبض تئوريك شريعت دكتر عبد الكريم سروش -

انتشارات مؤسسه ترجمه و نشر دوره علوم و معارف اسلام)

قام سماحة آية الله العلامة قدس سره العالي في هذا الكتاب - ضمن بيانه لعشرة اشكالات مهمة من اشكالات مقالة «بسط و قبض نظرية الشريعة» للدكتور عبد الكريم سروش - بالاجابة في احسن وجه و اتقنه على الانتقادات الواردة في هذه المقالة على حجية القرآن و خلوده و على جميع مقدسات العالم و حقائقه.

و كان هذا الكتاب في الاصل يشكل القسم الاعظم من المجلد الثاني للكتاب «نور ملكوت القرآن» ، و سيطلع مستقلا دون تصرف نظرا لاهمية الموضوع، و بناء على اقتراح بعض العلماء، و لتسهيل امر تناوله من قبل الاساتذة و طلبة الجامعات و المحققين، فيهدى الى من ينشدون سبيل الحقيقة و سبل السلام.

و اليك بعض عناوين الكتاب:

اصالة و خلود الدين الالهي و محدودية الفهم البشري، عظمة العلوم الاسلامية و تفوقها على العلوم الحالية، اساس الحوزات العلمية قائم على القرآن و العرفان، اعراض دعاة الانفتاح عن المباني الاسلامية بتاثير من الثقافة الاجنبية، برهان العلامة الطباطبائي في استناد العلل الطبيعية الى العلل المجردة، منطق القرآن حجية العقل و اليقين لا الفرضيات الوهمية.

6- الرسالة النكاحية: الحد من عدد السكان ضربة قاصمة لكيان المسلمين

(رساله نكاحية: كاهش جمعيت، ضربهای سهمگين بر پيكر مسلمين)

انتشارات حكمت و مؤسسه ترجمه و نشر دوره علوم و معارف اسلام

اصل هذه الرسالة قسم من المجلد الاول للكتاب «نور ملكوت القرآن» جرى فيه البحث في تفسير

آية

و لا يقتل اولدهن.

و نظرا لاهمية المطالب فقد استخرجت من ذلك الكتاب و طبعته بشكل مستقل باسم «الرسالة النكاحية». و بالنظر لحصول نشاطات واسعة تستلقت الانظار في وقت طبع هذه الرسالة - حيث تنقضى سنوات خمس على ارتحال الفقيه المعظم القائد الكبير للثورة الاسلامية - تحت عنوان تنظيم العائلة و الحد من السكان، فقد عمد سماحة آية الله العلامة الى كتابة تذييلات على هذه الرسالة، و



فسر اسم الرسالة النكاحية بعطف جملة «الحد من عدد السكان ضربة قاصمة لكيان المسلمين» ، حيث جرى في هذه التذييلات التي ضمت ثلاثة عشر مطلباً، تحليل مسألة الحد من السكان من وجهة نظر القرآن و الإسلام، كما ازيح الستار فيها عن السياسات الاستعمارية الخادعة الرامية الى تقليل قوة المسلمين.

و بعض العناوين التي تتصدر هذه التذييلات هي:

الهجوم العنيف للاستكبار العالمي بعد ارتحال القائد الكبير الفقيد للثورة، عدم الرجوع الى رأى المجتهدين و الفقهاء حتى الى فتوى آية الله الخميني (ره)، وجهة نظر سماحة آية الله الخامنئي في مسألة تقليل السكان، احصائيات خسائر النساء و الرجال في خصوص مسألة اغلاق الانابيب، حرمة اغلاق الانابيب و تعلق الدية الكاملة بها، تضاد فلسفة الاسلام و روح الايمان مع تقليل السكان.

7- رسالة مسودة القانون الاساسي

(نامه پيش نويس قانون اساسى - نشر انجمن اسلامى مسجد قائم طهران)

تبدا هذه الرسالة بالآية الكريمة

و كان حقا علينا نصر المؤمنين،

و تعكس وجهات نظر سماحة العلامة آية الله قدس سره الحاكية عن دقة نظره و تبصره في المسائل الدينية و السياسية.و قد جرى في تلك الرسالة نقد و اصلاح اصول مسودة القانون الاساسي وفقا للموازين و المعايير الاسلامية.

## دورة العلوم و المعارف الاسلامية(7)

### الابحاث التاريخية

1- لمعات الحسين عليه السلام

(انتشارات باقر العلوم عليه السلام)

حاوية لبعض كلمات و مواظ و خطب سيد الشهداء ابي عبد الله الحسين عليه السلام مع ترجمتها و ذكر مصادرها من الكتب المعتمدة، و هي - لاختصارها و بساطتها - قابلة للحفظ من قبل العموم، و خاصة طلاب العلوم الدينية و طلبة الجامعات الملتزمين.

2- الهدية الغديرية: رسالتان قاتمة و مشرقة

(هدية غديريّه: دو نامه سياه و سپيد)

انتشارات مؤسسه ترجمه و نشر دوره علوم و معارف اسلام

و تشمل هذه الكراسة رسالة من امير اهل الخلاف في بخارا و جوابها من قبل امير اهل الولاة في خراسان، حول ولاية امير المؤمنين عليه السلام و خلافته بلا فصل، جرى تبادلها قبل قرنين من الزمن، و يمكن عدها لاننشائها الرائع و منطقها المتيقن و برهانها السديد و خطها الجميل الظريف من بدائع التحريرات.و قد طبعت هذه المجموعة مع مقدمة و تحقيق من قبل سماحة العلامة آية الله قدس سره، و

اهديت بمناسبة العيد السعيد لغدير خم الى الاخوة المؤمنين و الطلبة المنتبعين لمعارف اهل اليقين.  
هذه هي مجموعة من الكتب التي الفت من قبل المؤلف قدس سره، و التي بادرت «مؤسسة ترجمة و  
نشر دورة العلوم و المعارف الاسلامية» الى ترجمتها و تقديمها تدريجا الى القراء المحترمين.